بلــوغ الغــايــة

من تهذيب بداية الهدايه

للإمام أبي حامد الغزالي
(رحمه اللّه)

بقلم
أبي عبد الرحمن البحيري
وائل بن حافظ بن خلف
غفر اللّه له ولوالديه

قدّم له

لفيـف من المشــايخ




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ
حلمي بن إسماعيل الرشيدي حفظه الله

إن الحمد لله (**تعالى**) ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

وبعد ...

فإن الإسلام دين الأدب والمروءة ، ودين الفضائل والأخلاق .. دين يحث على التحلي بمكارم الأخلاق ، وتهذيب النفس من رواسب الجاهلية ، لهذا قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9] ،**أي**: بالتوحيد ، والأخلاق ، والأدب ، وصنائع المعروف ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[الشمس:10] ،**أي**: بالشرك ، والرياء ، وحب السُّمعة ، والعُجب ، والغرور ، والكبر .

ومَن أراد الله به خيرًا ألهمه النفس التي تحثه على فعل الخيرات ، وترك المنكرات، والتحلي بالمكارم ، والتخلي عن الرذائل .

ولم يَرد عن نبي مِن أنبياء الله (**تعالى**) هذا الكم الكبير ، والنصوص الوافرة في التحلي بمكارم الأخلاق وحسن الأدب ، بمثل ما جاء به رسول الله ﷺ ، ولكن مَن يسمع ويقرأ ويعمل ؟!!

ولقد حث السلف على تعلم الأدب قبل العلم ؛ لأن الأوعية السيئة إذا حُشيت علما أساءت إليه وحطت من مكانته .

أخرج البخاري في "**الأدب المفرد**" (288) بسند صحيح إلى عبد الله بن عمرو بن العاصي (رضي الله عنهما) أنه قال:

" أربعُ خلالٍ إذا أُعطيتهن فلا يضرك ما عُزل عنك من الدنيا:

- **حُسن خليقة .**
- **وعفاف طعمة .**

- **وصدق حديث .**
- **وحفظ أمانة " .**

وفي "السير" (450/14) **قال يوسف بن الحسين الرازي** :

" بالأدب تَتَفهَّم العلم ، وبالعلم يصح لك العمل ، وبالعمل تنال الحكمة ، وبالحكمة تفهم الزهد ، وبالزهد تترك الدنيا وترغب في الآخرة ، وبذلك تنال رضا الله " .

وقال ابن القيم (رحمه الله) في "المدارج" (ص454) :

" وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه ، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره ، فما استُجلب خيرُ الدنيا والآخرة بمثل الأدب ، ولا استُجلب حرمانها بمثل قلة الأدب " .

ولو أن الأمر بيدي لكتبت هذه المقالة على باب كل مسلم ، وبخاصة الملتزم .

واسمع هذا القول من إمام في الأدب والأخلاق ، وهو أيضا عنوان الإخلاص، وهو ابن المبارك (رحمه الله) ، قال:

"مَن تهاون بالأدب عُوقب بحرمان السنن ، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة".

وفي "تاريخ دمشق" (168/54) **عن محمد بن إبراهيم أبي عبد الله البوشنجي (رحمه الله) ، قال:**

" مَن أراد العلم والفقه بغير أدب ؛ فقد اقتحم أن يكذب على الله ورسوله (ﷺ) ".

قال الطِّيب :

" الأخلاق الرذلة السيئة مفتاح كل شر ، بل هي الشر كله . والأخلاق الحسنة مفتاح كل خير ، بل هي الخير كله " ا.هـ من **"فيض القدير"** (10/ 5385) .

وقال الحجاج بن أرطأة :

" إن أحدَكم إلى أدب حسن أحوجُ منه إلى خمسين حديثا " .

وعن زكريا العنبري قال :

" علم بلا أدب ، كنار بلا حطب . وأدب بلا علم ، كروح بلا جسم " .

وقال ابن المبارك : قال لي مَخْلد بن الحسين :

" نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث " .

وقال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد : قال لي أبي :

" يا بني ! إيت الفقهاء والعلماء ، وتعلم منهم ، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم ؛ فإن ذاك أحب إليَّ من كثير من الحديث " .

وكان محمد بن عُبيد الطّنافسي يقول لأصحاب الحديث :

(ألا تكونوا مثل عيسى بن يونس ، كان إذا أقبل إلى الأعمش ومعه الشباب والشيوخ ينظرون إلى هديه وسمته) "تاريخ دمشق" (51/ 26) .

وعن مالك بن أنس قال: قال ابن سيرين :

" كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم ".

قال:

" وبعث ابن سيرين رجلاً فنظر كيف هديُ القاسم وحالُهُ " .

وقيل لابن المبارك : أين تريد؟

قال: إلى البصرة .

فقيل له: مَن بقي ؟

فقال: " ابن عون ، آخُذُ من أخلاقه ، آخُذُ من آدابه " .

وفي "الآداب الشرعية" لابن مفلح (2/255) :

" كان علي بن المديني وغير واحد يحضرون عند يحيى بن سعيد القطان ، ما يريدون أن يسمعوا شيئًا إلا أن ينظروا إلى هديه وسمته " .

وعندي عشرات بل مئات النقولات عن السلف وأدب السلف .

وكان الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) يحب الكلام على الأدب وحكايات السلف على كثير من العلم ؛ لأن ذلك يدعو إلى تعلم الأدب ، وصدق شعبة حيث قال :

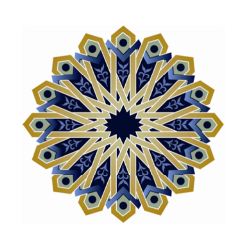
" تعلمنا الأدب حينما فاتنا المؤدبون ".

ولقد فاتنا جُلّ الآداب ؛ وذلك لانشغالنا بغيرها .

وهذه الرسالة ــ التي بين يديك ــ غيض من فيض مما يجب علينا أن نتمسك به مما بقي من الآداب والأخلاق .

وهي رسالة نافعة مفيدة في بابها ، وهي بعدُ جديرة بالاهتمام والتدريس ، أسأل اللهَ **(تبارك وتعالى)** أن يجعلها في ميزان حسنات جامعها ومهذبها ، وأن ينفع بها ، ويجعلَها سببًا في إزاحة الغبار والأتربة التي غطت النفوس وسترتها ، إن الله جواد كريم ، وبالإجابة جدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

وكتب
أبو أنس المصري السلفي
حلمي بن محمد بن إسماعيل الرشيدي
عفا الله عنه
الكيماويات / كفر الدوار /جمهورية مصر العربية .
في آخر شهر الله المحرم / 1430 هـ
الثاني عشر من شهر يناير 2010 م



مقدمة الشيخ
جمال الدين مغازي حفظه الله

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

ونحمد الله الذي منَّ على المؤمنين بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، فهدى به من الضلالة ، وبصَّر به من العماية ، وفتح به قلوبا غلفا ، وأعينا عميا ، وآذانا صما ، وشرح به الصدور ، وأنار به القلوب ، وأخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، مَن صلى عليه صلاة صلى الله عليه بها عشرًا .

أما بعد:

فهذا الكتاب الذي نشرف بأن نقدم له بذل فيه ولدنا الحبيب وائل **(حفظه الله)** جهدًا مشكورًا ، عسى الله أن يتقبل منه ، وإني لأنصح إخواني وأبنائي خاصة طلبة العلم أن يهتموا به تعلمًا وتعليمًا ، **وقد جربت تدريسه بعد صلاة الفجر ، وكان أثره طيبًا ونافعًا بفضل الله (سبحانه وتعالى)** .

وغاية القول أن هذا الكتاب يفتح لك الأبواب إلى الإخلاص بتزكية النفس ، وقد قال الله **(عز وجل)** : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:9،10] .

وهذا الباب صار مهجورًا عند أكثر الناس إلا من رحم ربي ، فتركوا الاهتمام بأعمال القلوب ، وهي هي من حيث أهميتها ؛ إذ عليها مدار القبول ابتداء ...

فيا أيها الأحباب ! اخلصوا تخلصوا .

وهذا كتاب يرسم لك دراسة جدوى لحياتك ، من الميلاد إلى الممات ، ومن اليقظة إلى المنام ، ومن المنام إلى اليقظة .

من الفجر إلى الغروب ، ومن الغروب إلى الفجر، وهكذا إلى أن يقودك إلى الجنان برحمة الله .

أيها الحبيب! كم تساوي الدنيا عند الله ؟

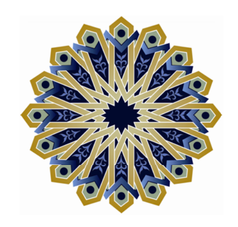
الكتاب يجيب عليك ، ويشرح لك لو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما شرب كافر منها شربة ماء .

فكم يساوي نصيبك من جناح البعوضة لو قسمت على هذه الأعداد الهائلة من البشر في عصرنا هذا فقط ، فما بالك بباقي العصور ؟!

فاستجب لربك ، وطهر قلبك ، واقصد وجه الله دائما ، ففي ذلك النجاة والهداية ، وهاك بين يديك **بداية الهداية** .

أسأل الله أن ينفع به كاتبه ، ومن أعان على نشره ، ومن قرأه ، وجميع المسلمين...

وكتب
المحب لكم
جمال الدين مغازي



مقدمة الشيخ
أبي عبد الرحمن محمد النشيلي (حفظه الله)

الحمد لله مفرج الكربات ، ومحقق الأمنيات ، ومذلل العقبات ، وغافر الذنوب والزلات .

الذي دعا الناس إلى لزوم صراطه المستقيم من بداية الحياة حتى الممات ، وأرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ترشدهم إلى عمل الصالحات ، كي يسعدوا في حياتهم ، ويفوزوا بعد الممات .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للبريات ،،،

أما بعد :

فإنه من سعادة المرء أن يجعل الله همه الآخرة لا الدنيا .

فالدنيا متاع زائل ، وخيال باطل ، قد يجمع الإنسان فيها من الأموال الكثير والكثير ، ويعمر الديار ، ويشيد القصور والأمصار ، ثم هو تارك ذلك ومحاسب عليه بين يدي ربه العظيم ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[التكاثر:8].

قال أبو الدرداء (رحمه الله) :

" أيها الناس كان فيمن كان قبلكم قوم جمعوا كثيرًا ، وبنوا مشيدًا ، وأملوا بعيدًا ، فأصبح جمعهم بورًا ، وبنيانهم قبورًا ، وآمالهم غرورًا .

ياقوم ! هذه عاد ملئت الدنيا خيلاً ورجالاً وآمالاً ، مَن يشتري مني اليوم تركتهم بدرهمين ؟!!" .

وقال فارس السيف والقلم محمود سامي البارودي:

كلُّ حيٍّ سيموت ... لَيْسَ في الدُّنيا ثُبُوتُ
حَرَكَاتٌ سَوْفَ تَفْنَى ... ثُمَّ يَتْلُوها خُفُوتُ
وكَلامٌ لَيْسَ يَحْلُو ... بَعْدَهُ إلاَّ السُّكُوتُ
أَيُّها السادِرُ قُلْ لي ... أَيْنَ ذاكَ الجَبَرُوتُ؟
كُنتَ مطبوعاً على النُطْـ ... ـقِ، فَمَا هَذَا الصُّمُوتُ؟
ليت شِعْرِي ، أَهُمودٌ ... ما أراهُ ، أَم قنوتُ ؟

أَيْـــنَ أَمْلاكٌ لَهُـــمْ في	**كُــلِّ أُفْــقٍ مَلَكُــوتُ**
زالَت التيجـانُ عنهــم	**وخَلَتْ تلْكَ التُّخُـوتُ**
أَصْبَحَتْ أَوْطَانُهُمْ مِـنْ	**بَعْدِهِمْ وَهْــيَ خُبُوتُ**
لا سَمِيعٌ يَفْقَــهُ الْقَــوْ	**لَ ولا حَـيٌّ يَصُـــوتُ**
عمرَت منهُــم قبــورٌ	**وخلَت منهـم بيـــوتٌ**
لم تَذُدْ عَنْهُمْ نُحُوسَ الدَّ	**هْرِ إِذْ حانَتْ بُخُـــوتُ**
خَمَدَتْ تِلْكَ المَسَاعِـــي	**وانْقَضَتْ تلكَ النُّعُوتُ**
إِنَّما الدُّنْيـــا خَيَـــالٌ	**باطِلٌ سَوْفَ يَفُـــوتُ**
ليـــسَ للإنسانِ فيهـــا	**غيرَ تقـوى الله قـــوتُ**

ولا ينفع العبد بعد المات ، إلا ما أخبرنا به رسول ربِّ الأرض والسماوات (ﷺ) في قوله : " **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** " [1] .

وها هو الإمام أبو حامد الغزالي (**رحمه الله**) صاحب (**بداية الهداية**) لو خلف وراءه مالاً ما رأيناه ، ولو ترك ولدًا ما عاصرناه ، ولو أبقى خلفه متاعًا من الدنيا ما شهدناه .

لكن الإمام ترك علمًا يُنتفع به ، فجزاه الله خير الجزاء .

وعلى نهج الإمام ودربه وطريقه سار أخي الفاضل المجتهد وائل بن حافظ (**حفظه الله ورعاه**) ، فأراد أن يترك خلفه علمًا نافعًا ، وعملاً صالحًا ، نسأل الله (**عز وجل**) أن يتقبله بقبول حسن ، فهذب (**بداية الهداية**) في (**بلوغ الغاية**) ، بقدر جهده وبلوغ علمه ، وتنقيبه وبحثه ، وسؤاله وتجواله في كتب الأماجد والأفاضل ، مستعينًا على ذلك بعون الله ومدده وتوفيقه ، نسأل الله (**تبارك وتعالى**) له الأجر والثواب والقبول .

وما أجمل هذا التهذيب وأشمله وأروعه .

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في "**صحيحه**" .

فقد بدأ بذكر أحوال الناس في طلب العلم ، ثم التعريج على ثمرة العلم وهي الهداية ، مبينًا أن لها بداية ونهاية "**فبدايتها ظاهرة التقوى ، ونهايتها باطنة التقوى ، فلا عاقبة إلا بالتقوى ، ولا هداية إلا للمتقين**" .

ثم رسم طريقًا للمؤمن يسير عليها من حين يستيقظ من نومه إلى أن يرجع إليه ، فجال بنا في آداب النوم والاستيقاظ منه ، مرورًا بآداب دخول الخلاء ، وآداب الوضوء والغسل والتيمم ، وآداب الخروج من البيت ، ودخول المسجد ، وصفة صلاة النبي (ﷺ) ، وآداب الاستعداد للصلوات الخمس ، وآداب الإمامة والقدوة ، وآداب يوم الجمعة ، وكذا آداب الصيام .

ثم بعد ذلك انتقل بنا الإمام الغزالي (**رحمه الله**) ومن خلفه ابن خلف (**حفظه الله**) إلى تهذيب النفس والجوارح بالامتثال والالتزام ، وعدم التعدي للحدود وارتكاب المعاصي والآثام ، فعرج على آداب العين ، والأذن .

ثم تجد الإلماع إلى آداب اللسان ، والإشارة إلى خطورته على الإنسان ، وذكر بعض ما يجب حفظ اللسان منه .

ثم طوف بنا في آداب البطن ، والفرج ، واليدين ، والرجلين .

ثم انتقل الإمام الغزالي (**رحمه الله**) ومن خلفه ابن خلف في تهذيبه للكلام على تهذيب تلك المضغة الصغيرة الحجم ، الكبيرة العمل ، التي إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب .

فبين أمراض تلك المضغة الجسام ، وما تجره على صاحبها من أوزار وآثام ، وذكر ثلاثة من أخطرها ، وهي: الحسد ، والرياء ، ثم ثالثة الأثافي: العجب والكبر والفخر على الأنام .

ثم انتقل الإمام (**رحمه الله**) ومن خلفه ابن خلف (**حفظه الله ورعاه**) ليذكر آدابًا سنية ، وشيمًا مرضية ، ينبغي للمسلم أن يتحلى بها ، ولا يتخلى عنها .

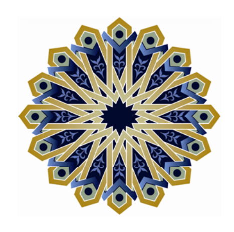
فبدأ بذكر آداب العبد مع خالقه ، ثم آداب العالم والمتعلم ، ثم آداب الولد مع الوالدين .

ثم خُتم الكتابُ بذكر آداب العلاقة مع الإخوان والأصدقاء والمعارف .

أسأل الله (**تبارك وتعالى**) أن يغفر لصاحب (**البداية**) ، ولمهذبها في (**بلوغ الغاية**) ، وللمقدمين لهذه الهداية ، وأن يجمعني بهم في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

كما أسأله (**سبحانه وتعالى**) أن يغفر لمن طبعها ، ونشرها ، وقرأها ، وسمعها ، وحملها للإنتفاع بها ، إن ربي لسميع الدعاء ...

وكتب
أبو عبد الرحمن
محمد بن محمد النشيلي
غفر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما وإليه



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة صاحب التهذيب

نسأل الله حسن الخاتمة

رب يسر وأعن يا كريم

الحمد لله الواحد القهار ، العزيز الغفار ، العظيم الجبار ، أحمده (**سبحانه**) وحلاوة محامده تزداد مع التكرار ، وأشكره تبارك وتعالى وفضله على من شكره مدرار .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، مكور النهار على الليل ومكور الليل على النهار ﴿ **يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ** ﴾ [الرعد:8]

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمداً رسولُ الله ، سيد الأبرار ، وإمام المتقين الأخيار .

اللهم صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه كلما سكن ساكن وتحرك متحرك في ليل أو نهار .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ...

فإن كتاب "**بداية الهداية**" للإمام أبي حامد الغَزَّالي (**رحمه الله**)[1] من الكتب التي تشتمل على مهمات لا ينبغي لسالك طريق الهداية أن يغفل عن دراستها والعمل بها ، وقد قدمه الكثيرون ، وانطلقت ألسنتهم بالثناء عليه ، وبعيب من هم في غفلة عنه وبغيره يبتدئون .

---

(1) **الغَزَّالي** : هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد . وهكذا يقال بتشديد الزاي ، وقد رُويَ عنه أنه أنكر هذا وقال: إنما أنا الغَزَالي – بتخفيف الزاي – . منسوب إلى قرية من قرى طوس يقال لها : غزالة . ا.هـ أفاده الإمام النووي (**رحمه الله**) في آخر باب من كتابه "**التبيان في آداب حملة القرآن**" .

ولا لوم عليهم في ذلك؛ فإن الطريق الموصلة إلى الله (**تبارك وتعالى**) ليست مما يقطع بالأقدام ، إنما تقطع بالقلوب ، فلا بد من أن يكون القلب سليماً ذا قوة وبصيرة حتى يصل ، وإلا حالت دون ذلك الشبهات والشهوات التي تعرض له .

وقد قال رسول الله ﷺ : " **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** " [1].

ولا يمتري أحد في أن الإمام الغزالي (**رحمه الله**) له يد طولى في الكلام على أمراض القلوب وعللها ، وإجادة وصفها وتشخيصها ، ووصف الدواء للخلاص منها واستئصالها ، وجُل الناس بعده عيال عليه في هذا الباب .

ولكن اعلم – وفقني الله وإياك لمرضاته ، وجعلني وإياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته – : أن كتب الإمام الغزالي (**رحمه الله**) تشتمل على الصحيح والسقيم ، وتجد فيهما الغث والسمين ، وترى فيها الدر الثمين ممزوجًا في الرصف بالخرز المهين .

وهذا ليس من كيسي، إنما هذا كلام أهل العلم والتحقيق الذين جاؤوا من بعده (**رحمه الله**) ، قالوه نصيحة للمسلمين ، وقد قال سيد المرسلين ﷺ : "**الدين النصيحة**" [2].

---

(1) أخرجه البخاري (52 ، 2051) ، ومسلم (1599) ، والإمام أحمد في "**المسند**" (4/ 267، 269، 270) ، وأبو داود (3329)، والترمذي (1205)، والنسائي (4453، 5710)، وابن ماجه (3984)، والدارمي (2531)، وابن حبان (721_إحسان) ، والبيهقي في "**السنن الكبرى**" (ج5/ ص264، 334) ، وفي "**شعب الإيمان**" (5740، 5741، 5742) ، وفي "**الزهد الكبير**" (862، 863) ، وأبو نعيم الأصفهاني في "**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**" [ج4 / ص320 / رقم (5898) ط/ مكتبة الإيمان] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما . قال الإمام الترمذي رحمه الله: " **حديث حسن صحيح** " ، وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: " **وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر ، وعمار بن ياسر ، وجابر، وابن مسعود ، وابن عباس . وحديث النعمان أصح أحاديث الباب** " ا هـ .

(2) أخرجه مسلم (55) ، والإمام أحمد (4/ 102، 103) ، وأبو داود (4944) ، والنسائي (4197، 4198) ، وابن حبان (4574، 4575_إحسان) ، وابن أبي عاصم في "**السنة**" (1089، 1090، 1091) ، وابن حزم في "**المحلى**" (8/ 591) ط/ دار التراث ، من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري . وراجع "**جامع العلوم والحكم**" للحافظ ابن رجب الحنبلي _**رحمه الله** _ الحديث السابع (7) .

• قال العلامة أبو الفرج ابن الجوزي (**رحمه الله**) {المتوفى **سنة 597 هـ** } في مقدمة كتابه الموسوم بـ**"منهاج القاصدين ومفيد الصادقين"** وهو اختصار لكتاب **"الإحياء"** للغزالي:

((اعلم أن في كتاب " **الإحياء** " { **وغيره** }(1) آفات لا يعلمها إلا العلماء ، وأقلها الأحاديث الباطلة الموضوعة ، والموقوفة وقد جعلها مرفوعة (2) ، وإنما

---

(1) أضفت هذه الكلمة ؛ لأن جُل كتب الإمام الغزالي _ رحمه الله_ تشتمل على بعض هذه الآفات التي يشير إليها ابن الجوزي رحمه الله ، ومن جملة ذلك كتاب **"بداية الهداية"** ، وهو بمثابة صورة مصغرة لكتاب **"الإحياء"** ، فما يقال في **"الإحياء"** يقال فيه . والله الموفق لا رب سواه .

(2) ومن أوضح الأدلة على ذلك كتاب الحافظ زين الدين العراقي _ رحمه الله _ { **المتوفى سنة 806 هـ** } المسمى : " **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار** " ، فكم من الأحاديث التي جزم الغزالي رحمه الله بنسبتها إلى النبي _ ﷺ_ ، ويقول فيها الحافظ العراقي _ رحمه الله _ : ((**لا أصل له**)) ، و ((**لم أجد له أصلاً**)) ... فضلاً عن الأحاديث الموضوعة ، فضلاً عن المنكرة والشاذة والضعيفة المعلولة ، حتى قال بعض أهل العلم : ((**ما رأيت كتاباً أكذب على النبي _ ﷺ_ من " الإحياء "**)) ! ، ولكننا نقول كما قال ابن الجوزي رحمه الله : إن الإمام الغزالي لم يتعمد الكذب على رسول الله _ ﷺ_ حاشاه من ذلك _ ولكنه نقل الأحاديث ((**كما اقتراها ، لا أنه افتراها**)) ، والإمام رحمه الله لم يكن من ذوي الاختصاص في علم الحديث حتى يستطيع تمييز صحيح الأخبار من سقيمها ، وطيبها من خبيثها ، وقد اعترف رحمه الله بذلك حيث قال : ((**أنا مزجى البضاعة في الحديث**)) .

بيد أن الإمام – رحمه الله – مال في آخر عمره إلى سماع الحديث وحفظه ، ومات وصحيح البخاري على صدره .

وراجع ترجمة الإمام _ رحمه الله _ في " **البداية والنهاية** " للعماد ابن كثير أبي الفداء _ رحمه الله _ { **المتوفى سنة 774 هـ** } (ج12 / 149) ط مكتبة الصفا ، حوادث سنة (505 هـ) .

وراجع أيضاً **"سير أعلام النبلاء"** للحافظ العالم العلامة شمس الدين الذهبي _رحمه الله_ {**المتوفى سنة 748هـ** } .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر بأنه ليس معنى تبيين ما في كتب الإمام من الآفات أن نهضمه حقه ، ونسى جهودَه وحسناتِه! ... كلا ثم كلا ؛ فالغزالي هو الغزالي ، وكفى الغزاليَّ فخرًا أنه الغزالي ، ذلك الإمام العلامة الجهبذ النحرير الحِبل الزاهد العابد العارف الورع ، الذي تشهد الدنيا بورعه وزهده وعلمه ، ومن أنكر ذلك فكأنما أنكر ضوء الشمس في رابعة النهار :

وكيف يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

وإنما ذكرنا ما ذكرناه من باب النصيحة كما أسلفنا ، وإلا فقد قال نبينا ﷺ : ((**إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث**)) ، ولله در من قال :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

وأجمل بقول القائل :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدًا ... فأفعاله اللاتي سررن كثير

نقلها كما اقتراها ، لا أنه افتراها ، ولا ينبغي التعبد بحديث موضوع ، والاغـترار بلفظ مصنوع .

وكيف أرتضي لك أن تصلي صلوات الأيام {**وأن تذكر الله تعالى بأذكار** } ليس فيها كلمة قالها رسول الله ﷺ .

وكيف أوثر أن يطرق سمعك من كلام المتصوفة الذي جمعه وندب إلى العمل به ما لا حاصل له من الكلام في الفناء والبقاء ، والأمر بشدة الجوع ، والخروج إلى السياحة في غير حاجة ، والدخول في الفلاة بغير زاد، إلى غير ذلك مما قد كـشفت عن عواره في كتابي المسمى بـ"**تلبيس إبليس**" [1] انتهى .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ { **المتوفى سنة** 728 } **في " مجموع الفتاوى** " :

((وأما ما في "**الإحياء**" من الكلام في المهلكات ، مثـل الكـلام عـلى الكـبر ، والعجب ، والرياء ، والحسد ونحـو ذلـك ، فغالبـه منقـول مـن كـلام الحـارث المحاسبي في "**الرعاية**" ، ومنه ما هو مقبول ، ومنه ما هو مـردود ، ومنـه مـا هـو متنازع فيه . و" **الإحياء**" فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة، فإنـه فيـه مـواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد ، فـإذا ذكـر معـارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدوًا للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين . وقـد أنكـر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه . وقالوا : ((**مرضه "الـشفاء"**)) يعنـي : "**شفاء** " ابن سينا في الفلسفة . وفيه أحاديث وآثار ضعيفة ، بل موضوعة كثيرة ، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم ، وفيـه مـع ذلـك مـن كـلام المـشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة ، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة ، ما هو أكثر مما يرد منه؛ فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه)) ا.هـ .

---

(1) وراجع لذلك أيضاً كتاب العلامة ابن قيم الجوزية ــ رحمه الله ــ { المتوفى سنة 751 هـ } المسمى بـ" **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** " ، فإنه من أحسن ما صُنف في هذا الباب .

ولهذا صح عزمي أن أقدم كتاب "**بداية الهداية**" للإمام الغزالي (**رحمه الله**) للمكتبة الإسلامية بعد تهذيبه مما علق به من أحاديث لا تصح عن النبي ﷺ وما أكثرها! ، ومن أقوال وأفعال استحسنها الإمام وارتآها وقال أهل العلم : لا دليل عليها . وأضفت إلى ذلك مما صح ما يغني عنها ، بل ويربو عليها.

وقد بذلت جهدًا أحتسبه في تخريج الأحاديث التي أوردتها ، وهي _ إن شاء الله – ثابتة عن رسول الله ﷺ برمتها ، وفيها غنية عن غيرها ، لمن أراد أن يزكي نفسه ويرقق قلبه بها ، لا بالأحاديث المكذوبة الموضوعة ، ولا الآثار والقصص المفتعلة المختلقة المصنوعة ؛ فإن الله لم يجعل شفاء أمة محمد فيما حرم عليها .

ولم ألتزم ذكر ألفاظ الإمام بعينها ، بل قد أذكرها بالمعنى ، وزدت في متن الكتاب أشعارًا وآثارًا أشبه بمستطاب الجَنَى ، فضلاً عن حواشي أرى أن ليس عنها غنى (*) .

وبعد هذا أذكرك أخي بقول أبي القاسم الحريري (**رحمه الله**) في "**ملحة الإعراب**" :

إن تجد عيباً فسد الخللا فجل من لا عيب فيه وعلا

" وإني من بعد ذلك موقن بالقصور بين أهل العصور ، معترف بالعجز عن المَضَاء في مثل هذا القضاء ، راغب من أهل اليد البيضاء ، والمعارف المتسعة الفضاء ، النظرَ بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء ، والتغمد لما يعثرون عليه بالإصلاح والإغضاء ؛ فالبضاعة بين أهل العلم مزجاة ، والاعتراف من اللوم منجاة ، والحسنى من الإخوة مرتجاة " (**) .

وأنا سائل أخًا انتفع بشيء من هذا الكتاب أن لا يغفل عن دعوة بظهر الغيب للإمام الغزاليّ ، وكذا لي ولوالديّ ، ولأصحاب الحقوق عليّ ، وليبشر ؛ فقد قال

(*) ووسمت صنيعي هذا بـ "**بلوغ الغاية من تهذيب بداية الهداية**" .

(**) اقتباس من كلام العلامة ابن خلدون (**رحمه الله**) في "**مقدمته**" المشهورة ، ص11 بتحقيقي ط/ دار العقيدة للتراث بالاسكندرية .

النبيّ (ﷺ) : " **دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ، ولك بمثل** "[1].

وإني لأبتهل إلى الله – تبارك وتعالى – أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يدخر لي ثوابه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:88،89] ، وأن يوفقني ووالدَيَّ ومشايخي وسائر أقاربي وأحبابي ومن أحسن إلينا بحسن النيات ، وأن ييسر لنا الطاعات ، وأن يهدينا لها دائماً في ازدياد حتى المات ، وأن يجود علينا برضاه ومحبته ودوام طاعته والجمع بيننا في دار كرامته وغير ذلك من أنواع المسرات، وأن ينفعنا أجمعين ومن يقرأ في هذا الكتاب به ، وأن يجزل لنا المثوبات ، وأن لا ينزع منا ما وهبه لنا ومَنَّ به علينا من الخيرات، وأن لا يجعل شيئاً من ذلك فتنة لنا وأن يعيذنا من كل شيء من المخالفات ؛ إنه مجيب الدعوات جزيل العطيات[2]. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وكتب

أبو عبد الرحمن البحيري

وائل بن حافظ بن خلف

غفر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما واليه

مساء الأحد الرابع عشر من شهر رمضان المبارك لسنة 1429هـ

الموافق: الرابع عشر من شهر سبتمبر لسنة 2008 م

كفر الدوار - البحيرة- جمهورية مصر العربية

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في "**المسند**" (5/ 195-196) ، (6/ 452) ، والبخاري في "**الأدب المفرد**" (625) ، ومسلم في "**صحيحه**" (2733) ، وابن ماجه (2895) .

(2) اقتباس من مقدمة الإمام النووي رحمه الله لشرح "**صحيح مسلم**" ، المسمى : "**المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**" .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـد

اعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم المظهر مـن نفـسه صـدق الرغبـة وفرط التعطش إليه : أنك إن كنت تقصد بالعلم المنافسة والمباهاة ، والتقدم عـلى الأقران ، واستمالة وجوه الناس إليك ، وجمع حطام الدنيا ؛ فأنت سـاع في هـدم دينك وإهلاك نفسك وبيع دنياك بآخرتك . فصفقتك خاسرة ، وتجارتك بـائرة ، ومعلمك معين لك على عصيانك ، وشريك لك في خسرانك ، وهو كبائع سيف لقاطع طريق ؛ فالدال على الشر كفاعله .

وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم: الهدايـة دون مجرد الرواية ؛ فأبشر فإن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مـشيت ، وحيتـان البحر تستغفر لك إذا سعيت.

ولكن ينبغي لك أن تعلم قبل كل شيء أن الهداية التـي هـي ثمـرة العلـم لهـا بداية، ونهاية ، وظاهر ، وباطن .

ولا وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها ، ولا عثور على باطنهـا إلا بعـد الوقوف على ظاهرها.

وها أنا مشير عليك ببداية الهداية لتجرب بها نفسك ، وتمتحن بها قلبك ، فإن صادفت قلبك إليها مائلاً ، ونفسك بها مطاوعة ولها قابلـة ؛ فـدونك التطلـع إلى النهايات ، والتغلغل في بحار العلوم.

وإن صادفت قلبك عند مواجهتك إياها بها مسوفاً ، وبالعمـل بمقتـضاها مماطلاً ؛ فاعلم أن نفسك المائلة إلى طلب العلم هي النفس الأمـارة بالـسوء ، وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليـدليك بحبـل غـروره ، فيـستدرجك بمكيدته إلى غمرة الهلاك ، وقصده أن يروج عليك الشر في معرض الخير حتى يلحقـــك ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف:103،104] .

وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء وما ورد فيه من الأخبار والآثار ، ويلهيك عن مثل قوله ﷺ : "**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه** " [1].

وكان من دعاء النبي ﷺ : " **اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها** " [2].

فإياك يا مسكين أن تذعن لتزويره فيدليك بحبل غروره . فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة ، وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة .

واعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال :

1 – رجل طلب العلم ليتخذه زاده إلى المعاد ، ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة ؛ فهذا من الفائزين.

2 – ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة ، وينال به العز والجاه والمال وهو عالم بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حاله وخسة مقصده ؛ فهذا من المخاطرين، فإن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه من سوء الخاتمة وبقي أمره في خطر المشيئة ، وإن وفق للتوبة قبل حلول الأجل وأضاف إلى العلم العمل ، وتدارك ما فرط منه من الخلل ؛ التحق بالفائزين ، فإن " **التائب من الذنب كمن لا ذنب له** " [3] .

---

(1) أخرجه الإمام البخاري (3267، 7098) ، والإمام مسلم (2989) من حديث أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهم .

(2) رواه مسلم (2722) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه .

(3) أخرجه ابن ماجه (4250) والطبراني في "المعجم الكبير" (ج10/ رقم10281) وغيرهما بسند منقطع ، ولكن للحديث شواهد ؛ ولذا حسنه الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ في "**الفتح**" تحت الحديث رقم (7507) ، ورمز الحافظ السيوطي لحسنه في "الجامع الصغير" (3385) ، وراجع "**السلسلة الضعيفة**" للشيخ ناصر الدين الألباني (615) ، و"فيض القدير شرح الجامع الصغير" للعلامة المناوي / مكتبة مصر .

3 - ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان ، فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الأتباع ، يدخل بعلمه كل مدخل رجاء أن يقضي من الدنيا وطره ، وهو مع ذلك يضمر في نفسه أنه عند الله بمكانة لاتسامه بسمة العلماء وترسمه برسومهم في الزي والمنطق مع تكالبه على الدنيا ظاهراً وباطناً ؛ فهذا من الهالكين ومن الحمقى المغرورين ؛ إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين ، وهو غافل عن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:2،3].

وهو ممن قال فيهم رسول الله ﷺ : **" غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال، الأئمةَ المضلين "** [1].

وهذا لأن الدجال غايته الإضلال ، ومثل هذا العالم ـ وإن صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله ـ فهو دافع لهم إليها بأعماله وأحواله ، ولسان الحال أفصح من لسان المقال ، وطباع الناس إلى المساعدة في الأعمال أميل منها إلى المتابعة في الأقوال ، فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله ؛ إذ لا يستجرئ الجاهل على الرغبة في الدنيا إلا باستجراء العلماء ، فقد صار علمه سبباً لجرأة عباد الله على معاصيه ، ونفسه الجاهلة - مع ذلك - تمنيه وترجيه ، وتدعوه إلى أن يمن على الله بعلمه ، وتخيل إليه نفسه أنه خير من كثير من عباد الله .

فكن أيها الطالب من الفريق الأول واحذر أن تكون من الفريق الثاني ، فكم من مسوف عاجله الأجل قبل التوبة فخسر ، وإياك ثم إياك أن تكون من الفريق الثالث فتهلك هلاكاً لا يُرجى معه فلاحك .

---

(1) أخرجه الإمام أحمد (5/ 145) ، وفي إسناده ابن لهيعة ، وله شواهد ، وجود إسناده الحافظ العراقي كما في "الفيض" (4/ 525) ، وفيه: ((**قوله: "الأئمةَ المضلين" كذا وقع في هذه الرواية بالنصب ، وتقديره: أعني الأئمة المضلين . وإن جاء بالرفع فتقديره: الأئمةُ المضلون أخوف من الدجال ، أو: غير الدجالِ الأئمةُ**)) .

فإن قلت: فما بداية الهداية لأجرب بها نفسي ؟

فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوى(**) ، ونهايتها باطنة التقوى ، فلا عاقبة إلا بالتقوى ولا هداية إلا للمتقين.

(**) أصل التقوى: وِقوى – بكسر أوله وقد يفتح – من الوقاية ، أبدلت الواو تاء كـ"تراث" ، و"**تخمة**" . وهي: ما يستر الرأس ، فهي اتخاذ وقاية تقيك مما تخافه وتحذره ، فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه وقاية تقيه منه ، وهي امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به ، وترك كل منهي عنه ، بحسب الطاقة ، مَن فعل ذلك فهو من المتقين . ا.هـ من "**دليل الفالحين**" .

وقال الإمام أحمد : " **التقوى : ترك ما تهوى لما تخشى** " .

ولله در من قال:" **التقوى : أن يجدك الله حيث أمرك ، وأن يفتقدك حيث نهاك** ".

وروى ابن أبي حاتم في "**تفسيره**" بسند صححه العماد ابن كثير في "**التفسير**" (2/ 51) ، والطبراني في "**المعجم الكبير**" بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح والآخر ضعيف – كما قال الهيثمي في "**المجمع**" (6/ 326) – عن ابن مسعود (**رضي الله عنه**) في تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:102] قال: " **أن يُطاع فلا يُعصى ، وأن يُذكر فلا يُنسى ، وأن يُشكر فلا يُكفر** " .

وقد روى الإمام ابن أبي شيبة في كتاب "**الإيمان**" (ص39رقم99) ، والأمام المبارك عبد الله بن المبارك في "الزهد" (1343) ، والإمام هناد بن السري في "**الزهد**" (520) ، والإمام البيهقي في "**الزهد الكبير**" (965) عن عاصم الأحول قال: لما وقعت فتنة ابن الأشعث قال طلق ابن حبيب: " **اتقوا الفتنة بالتقوى**" .

فقال بكر بن عبد الله : أجمل لنا التقوى في يسير .

فقال: " **التقوى : العمل بطاعة الله ، على نور من الله ، رجاء رحمة الله . والتقوى: ترك معاصي الله ، على نور من الله ، مخافة عذاب الله** " ا.هـ .

وقد روى الإمام البيهقي في "الزهد الكبير" قبل هذا الأثر أثرين:

الأول:

بسند فيه نظر عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه قال: قال رجل لأبي هريرة : ما التقوى؟

فقال أبو هريرة : هل أخذت طريقًا ذا شوك؟

قال الرجل: نعم .

قال: فكيف صنعت؟

قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه ، أو جاوزته، أو قصرت عنه .

فقال : ذاك التقوى ا.هـ

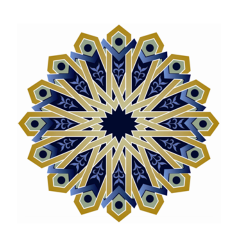
وقد أخذ ابن المعتز هذا المعنى من أبي هريرة ، فقال:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى. =

والتقوى: عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه ، فهما قسمان .

وهأنا أشير عليك بجمل مختصرة من ظاهر علم التقوى في القسمين جميعاً، وألحق قسما ثالثًا ؛ ليصير هذا الكتاب جامعًا مغنيًا ، والله المستعان .



= **الأثر الثاني:** رواه البيهقي من طريق عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي ، أن عمر ابن عبد العزيز كان يقول: " **ليس تقوى الله بصيام الدهر ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله ، فمن رُزق بعد ذلك خيرًا ؛ فهو خير إلى خير** " .


القسم الأول
في
الطاعات

توطئة

اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض ، ونوافل .

فالفرض: رأس المال ، وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة .

والنفل: هو الربح وبه الفوز بالدرجات ، قال ﷺ: "**إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه**"[1]، ولن تصل أيها الطالب إلى القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك، من حين تصبح إلى حين تمسى.

فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك ، ومشرف على ظاهرك وباطنك ، ومحيط بجميع لحظاتك وخطراتك وخطواتك وسائر سكناتك وحركاتك ، وأنك في مخالطتك وخلواتك متردد بين يديه فلا يسكن في الملك والملكوت ساكن، ولا يتحرك متحرك إلا وجبار السماوات والأرض مطلع عليه ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[غافر:19] و ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾[طه:7].

فتأدب أيها المسكين ظاهراً وباطناً بين يدي الله تعالى تأدب العبد الذليل المذنب في حضرة الملك الجبار القهار ، واجتهد ألا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ، ولن تقدر على ذلك إلا بأن توزع أوقاتك وترتب أورادك من صباحك إلى مسائك.

فاصغ إلى ما يلقى إليك من أوامر الله تعالى عليك من حين تستيقظ من منامك إلى وقت رجوعك إلى مضجعك.

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في "**صحيحه**" (6502) ، وابن حبان (347_**إحسان**) ، وأبو نعيم في "**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**" (ج1/ ص7) ط/ مكتبة الإيمان ، والبيهقي في "**السنن الكبرى**" (ج3/ ص346) ، و(ج10/ ص219) ، وفي كتاب "الأسماء والصفات" ، وفي "**الزهد الكبير**" (696) . وراجع "**جامع العلوم والحِكَم**" للحافظ ابن رجب الحنبلي شرح الحديث رَقْم (38) ، و"**فتح الباري**" للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله (11/ 400-407)ط/ دار الحديث ، و"**السلسلة الصحيحة**" للشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله (1640) ..

فصل
في آداب الاستيقاظ من النوم

فإذا استيقظت من النوم فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر ، وليكن أول ما يجري على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى .

فقل عند ذلك :

* **" الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور "** (1) .

* **" الحمد لله الذي عافاني في جسدي ، ورد علي روحي ، وأذن لي بذكره "** (2).

ثم اقرأ الآيات من آخر سورة آل عمران ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ ﴾ [آل عمران:190،191] إلى آخر السورة (3).

---

(1) أخرجه البخاري (6312، 6314، 6324، 7394) ، وأبو داود (5049) ، والترمذي في "جامعه" (3417) ، وفي **"الشمائل المحمدية"** (245) ، والنسائي في **"عمل اليوم والليلة"** (747، 748) ، وابن ماجه (3880) ، والإمام أحمد (5/ 385، 397، 399) وفي مواضع أخر ، والدارمي (2686) ، وابن حبان (5532، 5539) ، وابن السني في **"عمل اليوم والليلة"** (8، 708) من حديث حذيفة رضي الله عنه ، وأخرجه مسلم (2711) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه .

(2) أخرجه الترمذي (3401) ، والنسائي في **"عمل اليوم والليلة"** (866) ، وابن السني في **"عمل اليوم والليلة"** (9) وصحح إسناده الإمام النووي رحمه الله في **"الأذكار"**! ، ونازعه الحافظ ابن حجر رحمه الله في **"نتائج الأفكار"** ومال إلى تحسينه ؛ لأجل الاختلاف في محمد ابن عجلان ، وأقره الحافظ السيوطي رحمه الله في **"تحفة الأبرار بنكت الأذكار"** ، ورمز لحسنه في **"الجامع الصغير"** (437) فأصاب ، ولكنه قصر حين اقتصر في عزوه على ابن السني تقليدًا منه للإمام النووي رحمه الله ، وقد تعقبه العلامة المناوي رحمه الله في **"الفيض"** (1/ 362) قائلاً: رمز لحسنه ، وظاهر اقتصاره على ابن السني أنه لم يخرجه أحد من الستة ، ولا كذلك ، بل رواه الترمذي والنسائي ، وقال مغلطاي : ((**ليس لحديثي عزو حديث في أحد الستة لغيرها إلا لزيادة ليست فيها ، أو لبيان سنده ورجاله**)) ا.هـ وهذه فائدة نفيسة طالما غفل عنها كثيرون ، وقل من نبه عليها من أهل العلم ، فكن منها على ذُكر .

(3) انظر **"موطأ مالك"** (1/ 121-122/ 11) ، **"مسند أحمد"** (2164، 3372-شاكر) ، **"صحيح البخاري"** (183، 4569، 4570، 4571، 4572) ، ومسلم (763/ 182-191 -**عبد الباقي**) ، **"سنن أبي داود"** (1367) ، والترمذي في **"الشمائل"** (254)، والنسائي (1620) ، وابن ماجه (1363) ، وابن خزيمة (1675) .

وعليك بالسواك؛ فإن النبي ﷺ كان لا ينام إلا والسواك عنده، فإذا استيقظ بدأ به [1].

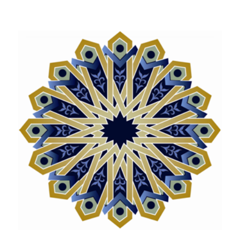
فإذا لبست ثيابك فانو به امتثال أمر الله تعالى في ستر عورتك، واحذر أن يكون قصدك من لباسك مراءاة الخلق فتخسر.

وقل عند لبس الثوب :

" الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة "[2]؛ ففي الخبر أن من قال ذلك غُفر له ما تقدم من ذنبه .

وإن كان الثوب جديداً فقل عند لبسه :

" اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له " [3].



(1) أخرجه الإمام أحمد في "**المسند**" (2/ 117) (5979–شاكر) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بسند صححه العلامة أبو الأشبال أحمد بن محمد شاكر ، وحسنه العلامة أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني في "**السلسلة الصحيحة**" (2111) .

(2) أخرجه الإمام أحمد (3/ 439) ، وأبو داود (4023) ، والترمذي (3458) ، وابن ماجه (3285) ، والدارمي (2690) ، وأبو يعلى (3/ 1488، 1498) ، وابن السني في "**عمل اليوم والليلة**" (271) ، وقال الترمذي : ((**حديث حسن غريب**)) ، وصححه الحاكم ! ، وحسنه الحافظ في "**نتائج الأفكار**" ، وهو كما قال .

(3) رواه الإمام أحمد في "**المسند**" (3/ 30، 50) ، وأبو داود (4020، 4021، 4022) ، والترمذي (1767) ، وفي "**الشمائل**" (59) ، وأبو يعلى (2/ 1079، 1082) ، وابن السني في "**عمل اليوم**" (14، 270)، وصححه ابن حبان (5420، 5421–**إحسان**)، والحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي : " **حديث حسن غريب صحيح** " وصححه أيضًا الإمام النووي في "الأذكار" ، وابن قيم الجوزية في "زاد المعاد في هدي خير العباد" (2/ 379) ، ورمز السيوطي لصحته في "**الجامع الصغير**" (6562) .

باب
آداب دخول الخلاء

فإذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة فقدم في الدخول رجلك اليسرى وفي الخروج رجلك اليمنى، ولا تستصحب شيئاً عليه اسم الله تعالى، ولا تدخل حافي القدمين.

وقل عند الدخول: " باسم الله " (1) .

و **" اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث "** (2).

وعند الخروج: " غفرانك " (3).

وإن كنت في الصحراء فابعد عن عيون الناظرين واستتر بشيء إن وجدته، ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، ولا تجلس في متحدث الناس، ولا تبل في الماء الراكد، وتحت الشجرة

---

(1) انظر **"جامع الترمذي"** (606)، و**"سنن ابن ماجة"** (297)، و**"عمل اليوم والليلة"** لابن السني رحمه الله (20، 21)، و**"إرواء الغليل"** للشيخ ناصر الدين الألباني(1/ 87-90) (50).

(2) رواه الإمام أحمد في **"المسند"** (3/ 99، 101، 282)، والبخاري (142،6322)، وفي **"الأدب المفرد"** (692)، ومسلم (375)، وأبو داود (4، 5)، والترمذي (5، 6)، والنسائي (19)، وفي **"عمل اليوم والليلة"** (74)، وابن ماجه (298)، والدارمي (669)، وأبو يعلى (3902، 3914)، وابن حبان (1407)، وابن الجارود في **"المنتقى"** (28)، وابن السني في **"عمل اليوم والليلة"** (17) .

(3) رواه الإمام أحمد (6/ 155)، والبخاري في **"الأدب المفرد"** (693)، وأبو داود (30)، والترمذي (7) وحسنه، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (79)، وابن ماجه (300)، والدارمي (680)، وصححه ابن خزيمة (90)، وابن حبان (1444)، والحاكم، ووافقه الذهبي، وابن السني في **"عمل اليوم والليلة"** (23)، والحديث صححه أيضًا الإمام الكبير أبو حاتم الرازي - رحمه الله - كما نقل ذلك الحافظ في **"بلوغ المرام"** وأقره، وصرح بصحته في **"نتائج الأفكار"**، ومن قبله النووي في **"المجموع"**، وفي **"الأذكار"**، وراجع "فيض القدير" (5/ 162) .

تنبيهان:

الأول: لم يصح من أذكار الخروج من الخلاء سوى هذا الذكر، وقد نبه على ذلك جماعة من أهل العلم، منهم العلامة المناوي -رحمه الله- في **"الفيض"** (5/ 162) .

الثاني: سقط هذا الحديث من **"المسند"** طبعة دار الحديث بالقاهرة (17/ 545) برقم (25098)، فيستفاد استدراكه من هنا .

المثمرة والظل الذي يتخذه الناس مقيلاً ومنزلاً ينزلونه . ولا في الجُحْر ، وبين قبور المسلمين ، وقارعة الطريق؛ ففي الخبر : " **من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم** "(1).

ولا تبل أيضاً في مغتسلك ، واحذر الأرض الصلبة ومهب الريح احترازاً من الرشاش .

وللإنسان أن يبول قائمًا وقاعدًا ، وإن كان البول من قعود أولى ؛ لأنه كان غالب فعل النبي(*) .

واعلم أنه يجوز الاستنجاء بالحجر الطاهر ، والماء ، وما في معناهما كمنديل ونحوه ، والماء أفضل . وإذا استجمرت بالحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة للعين بها محل للنجو ، بحيث لا تنتقل النجاسة عن موضعها .

فإن لم يحصل الإنقاء بثلاثة فتمم خمسة ، أو سبعة إلى أن ينقى بالإيتار .

وكذلك تمسح القضيب في ثلاثة مواضع من حجر ، ولا تمس ذكرك بيمينك(**) ولا تستنج إلا باليد اليسرى . ولا تستجمر برَوْث ، ولا عظم ، ولا طعام ، ولا حُمَم(***) .

---

(1) حسن: أخرجه الطبرني في **"المعجم الكبير"** (3050) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه ، وحسن إسناده الإمام المنذري في **"ترغيبه"** ، وتبعه الحافظ الهيثمي في **"المجمع"** (1/ 204) ، والفقيه الهيتمي في **"الزواجر عن اقتراف الكبائر"** (1/ 230) ط/ دار الحديث ، ورمز السيوطي لحسنه في **"الجامع الصغير"** (8264) ، وراجع **"الصحيحة"** للألباني (2294) .

(*)قال الحافظ ابن حجر (**قدس الله روحه ونور ضريحه**) في **"فتح الباري"** في شرح الحديث رقم (226) من **"صحيح البخاري"** : ((**لم يثبت عن النبي (ﷺ) في النهي عن البول قائمًا حديث**)) ا.هـ .

(**) وهيئة الاستجمار الصحيحة من البول أن ((**يمر الإنسان العضو بيساره على شيء يمسكه بيمينه وهي قارة غير متحركة ، فلا يُعد مستجمرًا باليمين ، ولا ماسًا بها**)) كذا قال إمام الحرمين الجويني ، ومن بعده الغزالي في **"الوسيط"** ، والبغوي في **"التهذيب"** كما في **"فتح الباري"** .

(***)الحُمَم: الرماد والفحم وكل ما احترق – الواحدة: حُمَمَة .

باب
آداب الوضوء

فإذا فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك ، سواء كنت صائمًا أم لا ، فإنه **"مطهرة للفم ومرضاة للرب"** [1]. وهو من الفطرة [2].

وقد قال رسول الله ﷺ : **" لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء "** [3].

وفي حديث آخر: "مع كل صلاة " [4] .

وعنه ﷺ قال : **" أُمِرت بالسواك حتى رأيت أنه سينزل علي به قرآن أو وحي "** [5] .

وقال أيضًا : **" لقد أُمِرت بالسواك حتى خشيت أن أدرد "** [6] والدَّرَد: سقوط الأسنان .

---

(1) **صحيح**: أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا به في [**كتاب (30)الصوم – باب(27) سواك الرطب واليابس للصائم**] ، ووصله الإمام أحمد (6/ 47، 62، 124، 238) ، والنسائي (5)، وابن خزيمة (135) ، والدارمي (684) ، وابن حبان (1067 -**إحسان**) ، والشافعي في "**المسند**" (ص14)ط/ دار الريان ، من حديث عائشة رضي الله عنها . قال الإمام النووي رحمه الله في "**رياض الصالحين**" (1211) : " **رواه النسائي وابن خزيمة بأسانيد صحيحة**" ، وراجع "**فيض القدير**" (4/ 192-193) ، و"**إرواء الغليل**" (66) .

(2) راجع "صحيح مسلم" (261) [**كتاب الطهارة-باب خصال الفطرة**] .

(3) أخرجه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم [**كتاب الصوم-باب سواك الرطب واليابس للصائم**] ، ووصله الإمام أحمد في "**المسند**" (2/ 460، 517) ، وصححه ابن خزيمة (140)، وراجع "**الموطأ**" (1/ 66/ 115" ، "**مجمع الزوائد**" (1/ 221) ، و"**فيض القدير**" (5/ 442) ، "**الإرواء**" (70) .

(4) أخرجه البخاري (887، 7240) ، ومسلم (252) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(5) **حسن لغيره**: أخرجه الإمام أحمد (2125، 2799، 2895، 3122 -**شاكر**) وغيره ، وقد خرجته في كتابي "**إتحاف اللبيب بتخريج أحاديث مختصر الترغيب والترهيب**" للحافظ ابن حجر رحمه الله برقم (59) .

(6) حسن لغيره: أخرجه البزار بسند ضعيف ، وله شواهد ، راجع "**مجمع الزوائد**" (2/ 99) ، و"**السلسلة الصحيحة**" (1556). هذا وقد ورد في فضل السواك والحث عليه أحاديث كثيرة جدًا. نقل الصنعاني في "**سبل السلام**" عن صاحب "**البدر المنير**" أنه قال: **" قد ذُكر في السواك زيادة على مائة حديث. فواعجبًا لسنة تأتي فيها الأحاديث الكثيرة ثم يهملها كثير من الناس ! ، بل كثير من الفقهاء !! ، فهذه خيبة عظيمة "** ا.هـ .

فإذا أردت الوضوء فقل : باسم الله ؛ فقد قال رسول الله ﷺ : **" لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه "** [1] .

ثم اغسل يديك ثلاثاً قبل أن تدخلهما الإناء .

ثم انو رفع الحدث واستباحة الصلاة ، ولا ينبغي أن تعزب نيتك قبل غسل الوجه فلا يصح وضوؤك، ولا تتلفظ بالنية فإن محلها القلب .

ثم تمضمض واستنشق من كف واحدة ، افعل ذلك ثلاث مرات ، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا فترفق ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها من مبتدأ تسطيح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ، ومن وتد الأذن إلى وتد الأذن في العرض ، ويجب إيصال الماء إلى منابت الشعر من اللحية الخفيفة دون الكثيفة ، ولا تترك تخليل اللحية الكثيفة.

ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين .

ثم استوعب رأسك بالمسح بأن تبل يديك ، وتلصق رؤوس أصابع يدك اليمنى باليسرى وتضعهما على مقدمة الرأس وتمررهما إلى القفا ثم ترددهما إلى المقدمة ، فهذه مرة ، واقتصر على ذلك أفضل ، وإن مسحت ثلاث مرات فذلك ثابت . وكما يجوز المسح على الرأس ، يجوز المسح على العمامة وحدها ، وكذا على الناصية والعمامة معا .

ثم امسح أذنيك ظاهرهما وباطنهما بما تبقى في يدك من بلل ، وإلا فبماء جديد ، وأدخل مسبحتك في صماخي أذنيك ، وأمسح أذنيك بباطن إبهاميك .

---

(1) **حسن** : أخرجه الإمام أحمد (2/ 418) ، وأبو داود (101) ، وابن ماجة (399) وغيرهم من حديث أبي هريرة بسند ضعيف ، وللحديث شواهد كثيرة جدًا يرقى بها إلى درجة الحسن إن شاء الله ، وقد حسنه جماعة من أهل العلم ذكرتهم مع تخريج الحديث في **"إتحاف اللبيب"** (56) ، وراجع **"كشف المخبوء بثبوت حديث التسمية عند الوضوء"** لشيخنا العلامة أبي إسحاق الحويني حفظه الله تعالى . فائدة: قال ابن القيم في **"الزاد"** (1/ 195) : ((**لم يُحفظ عن النبي أنه كان يقول على وضوئه شيئًا غير التسمية ، وكل حديث في أذكار الوضوء الذي يقال عليه ، فكذب مختلق ، لم يقل رسول الله شيئًا منه ، ولا علمه لأمته، ولا ثبت عنه غير التسمية في أوله**)) ا.هـ فتنبه .

ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين ، ولا تهمل تخليل أصابع اليدين والرجلين ، واعلم أن النبي ﷺ قد قال: "**ويل للأعقاب من النار** " [1].

وراعِ التكرار ثلاثًا في جميع أفعالك إلا في مسح الرأس والأذن فالأفضل الاقتصار على مرة.

وإن كنت قد لبست خفاً طاهرًا ساترًا لمحل الفرض أو ما في معناه كجورب ونحوه على طهارة فامسح على ظاهره لا باطنه يوماً وليلة إذا كنت مقيماً ، وثلاثة أيام بلياليهن إذا كنت مسافراً .

وقل عند الفراغ من الوضوء :" **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**" [2]، " **سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك** " [3]؛ فقد جاء في الخبر أن من قال الدعاء الأول فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء،

---

(1) أخرجه البخاري (165) ، ومسلم (242) من حديث أبي هريرة ﷺ، وانظر "**فيض القدير**" (6/ 478)ط/ مكتبة مصر ، "**نظم المتناثر من الحديث المتواتر**" (30) .

(2) أخرجه الإمام مسلم (234) وغيره من حديث عمر بن الخطاب ﷺ ، وهو مخرج في "إتحاف اللبيب" رقم (65) ، وبينت ثمة أن الزيادة التي عند الترمذي (55) وهي : ((**اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**)) لا تصح ، وراجع تعليق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله على هذا الحديث في شرحه لـ "**سنن الترمذي**" ؛ فإنه هام جدًا .

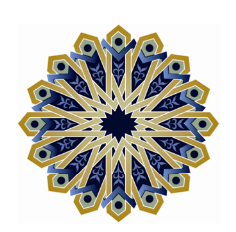
(3) أخرجه الطبراني في "**الأوسط**" من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا وقال الحافظ المنذري : "**رواته رواة الصحيح**" ، وتبعه الهيثمي في "**المجمع**" (1/ 239)، وفي "**الدعاء**" (388، 389، 390، 391) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (30) ، والنسائي في "**عمل اليوم والليلة**" (81، 82، 83) ، والحاكم (1/ 654) مرفوعًا وموقوفًا ، والصواب فيه الوقف كما قال غير واحد من أهل العلم رحمهم الله ، ومع ذلك فله حكم الرفع لأنه لا يقال من قبل الرأي كما لا يخفى ، والله الموفق . وانظر "التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير" للحافظ ابن حجر العسقلاني (رحمه الله) (ج1/ ص175-177) ط/ مؤسسة قرطبة .

وأن الدعاء الثاني يكتب في رق ويختم عليه بخاتم ويوضع تحت العرش ولا يكسر إلا يوم القيامة .

واجتنب في وضوئك أربعًا : لا تزد في الغسل على ثلاث مرات ، ولا تكثر صب الماء من غير حاجة بمجرد الوسوسة ، ولا تتوضأ في المكان النجس ، ولا تترك سنة من سنن الوضوء فتحرم أجرها ، وسيأتي بيانها .

وحافظ على الوضوء وإسباغه وتجديده ؛ فقد قال النبي ﷺ: " إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيًا من الذنوب " [1].

وقال ﷺ أيضاً : " من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره " [2].



(1) أخرجه الإمام مالك في "**الموطإ**" (1/ 32/ 31) ، ومن طريقه الإمام أحمد (8007) ، ومسلم (244) واللفظ له ، والترمذي (2) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الترمذي : "**حديث حسن صحيح**" .

(2) أخرجه الإمام مسلم في "**صحيحه**" (245) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

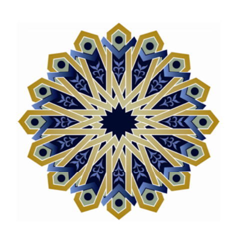
باب
آداب الغســـل

فإذا أصابتك جنابة من احتلام أو وقاع ، فخذ الإنـاء إلى المغتـسل ، واغـسل يديك أولاً ثلاثًا ، وأزل ما على بدنك من قذر ، وتوضـأ كـما سـبق في وضـوئك للصلاة ، فإذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك ثلاثـا وأنـت نـاو رفـع الحدث من الجنابة ، ثم على شقك الأيمن ثلاثًا ، ثم على الأيسر ثلاثًا ، وادلك ما أقبل من بدنك وما أدبر ثلاثًا ، وخلل شعر رأسك ولحيتـك ، وأوصـل المـاء إلى معاطف البدن ومنابت الشعر ما خف منه وما كثف .

والفريضة من جملة ذلك كله: النيـة ، والتـسمية ، وإزالـة النجاسـة ، واستيعاب البدن بالغسل.

وفرض الوضوء: التسمية ، وغسل الوجه ومنه المضمضة والاستنشاق ، واليدين مع المرفقين ، ومسح الرأس كله ، وغـسل الـرجلين إلى الكعبـين مـرة مـع النيـة والترتيب والموالاة .

وما عداها سنن مؤكدة، فضلها كثير وثوابها جزيل ، والمتهاون بها خاسر ، بل هو بأصل فرائضه مخاطر ، فإن النوافل جوابر للفرائض.

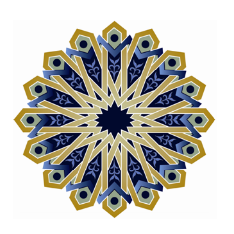


باب
آداب التيمم

فإن عجزت عن استعمال الماء ـ لفقده بعد الطلب ، أو لعذر من مرض ، أو لمانع من الوصول إليه من سبع أو حبس ، أو كان الماء الحاضر تحتاج إليه لعطشك أو لعطش رفيقك أو ملكاً لغيرك ولم يبع إلا بأكثر من ثمن المثل ، أو كان بك جراحة أو مرض تخاف منه على نفسك ـ فاقصد صعيدًا طيبًا[1] فاضرب عليه بكفيك ضربة واحدة، وانوِ ، ثم امسح وجهك كله مرة ، ولا تتكلف إيصال الغبار إلى منابت الشعر خف أو كثف ، ثم امسح يديك إلى الرسغ .

ولا يخفاك أن التيمم يقوم مقام الماء ؛ فيستباح به ما يستباح بالماء ولا فرق ، ويصلي المتيمم ما شاء من الفرائض والنوافل ما لم ينتقض تيممه ، والتيمم ينتقض بما ينتقض به الوضوء ، ويزاد : وجود الماء .

والذي ينقض الوضوء : ما خرج من السبيلين : القبل والدبر ، وزوال العقل بأي شيء ذهب– من جنون أو إغماء أو سكر من أي شيء سكر ، والنوم المستغرق الذي لا يبقى معه إدراك وذلك إذا كثر ، وأكل لحم الجُزُر – **الإبل** – بهذا جاء الخبر .



(1) **الصعيد** : وجه الأرض سواء كان عليه تراب أم لم يكن ، قال الزجاج : " **لا أعلم فيه خلافا بين أهل اللغة** " ، **والطيب** : هو الطاهر الذي ليس بنجس .

باب
آداب الخروج إلى المسجد

فإذا فرغت من طهارتك فصل في بيتك ركعتي سنة الفجر [1] – وهما **"خير من الدنيا وما فيها"** [2] – إن كان الفجر قد طلع، كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ، ثم يتوجه إلى المسجد .

وقد قال : **" صلوا أيها الناس في بيوتكم [أي : النوافل] ؛ فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة "** [3] ، وقال ﷺ أيضًا: **" فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس كفضل الفريضة على التطوع "** [4] .

ولا تدع الصلاة في الجماعة لا سيما الصبح فـ **" صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ [أي : الفرد] بسبع وعشرين درجة"** [5]، فإن كنت تتساهل في مثل هذا الربح، فأي فائدة لك في طلب العلم ؟ ، وإنما ثمرة العلم العمل به.

فإذا سعيت إلى المسجد فامش على هينة وتؤدة وسكينة ووقار ؛ فقد قال سيد الأبرار ﷺ : **"إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة ، وعليكم بالسكينة والوقار، ولا تسرعوا ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا "** [6] .

---

(1) والسنة أن تقرأ في الركعة الأولى سورة **"الكافرون"** ، وفي الثانية سورة الإخلاص ، وإن شئت فاقرأ في الأولى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾[البقرة:136] ، وفي الثانية : ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ ﴾[آل عمران:64] ؛ فذلك ثابت أيضًا.

(2) أخرجه مسلم (725) ، والترمذي (416) ، والنسائي (1759) ، والحاكم في "المستدرك" ! (1151 –**صلاة التطوع**) وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها،وقال الترمذي: **"حديث حسن صحيح"** . وراجع **"فيض القدير"** (4/ 47) .

(3) أخرجه البخاري (731، 6113، 7290) ، ومسلم (781) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(4) أورده الهيثمي في **"المجمع"** (2/ 247) وعزاه للطبراني في **"الكبير"** من حديث صهيب ابن النعمان ، وقال: ((**فيه محمد بن مصعب القرقساني ضعفه ابن معين وغيره ووثقه أحمد**)) اهـ ، وعزاه الحافظ المنذري في **"ترغيبه"** للبيهقي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وقال المنذري : ((**وإسناده جيد إن شاء الله تعالى**)) اهـ .

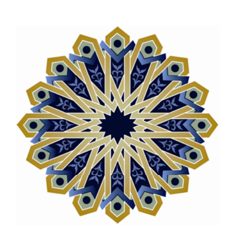
(5) أخرجه الإمام مالك رحمه الله في "الموطإ" (1/ 129/ 1) ، ومن طريقه الإمام أحمد (5332) والبخاري (645) ، ومسلم (650) ، والنسائي (837) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(6) أخرجه البخاري(636، 908) ، ومسلم (603) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ للبخاري في إحدى روايتيه .

وقل عند خروجك من البيت :" **باسم الله ، تَوَكَّلْتُ على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله** " (1) .

" **اللهم إني أعوذ بك أن أَضِل أو أُضَل ، أو أَزِل أو أُزَل ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليّ** " (2) .

" **اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبِي نُوراً، وفي لِساِنِي نُوراً، وَاجْعَلْ في سَمْعِي نُوراً، وَاجْعَلْ في بَصَري نُوراً، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُوراً، وَمِنْ أمامي نُوراً، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقي نُوراً وَمِنْ تَحْتِي نُوراً، اللَّهُمَّ أعْطِنِي نُوراً** " (3).



(1) أبو داود (5095) ، والترمذي (3426) وحسنه ، وصححه ابن حبان (822) ، وراجع كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله على هذا الحديث في "**نتائج الأفكار**" .

(2) أخرجه الإمام أحمد (6/ 306، 318، 322) ، وأبو داود (5094) ، والترمذي (3427) وقال: "**حسن صحيح**" ، والنسائي (5486، 5539) ، وابن ماجه (3884) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وصححه النووي في "**رياض الصالحين**" (83) ، وفي "**الأذكار**" ، ومن قبله الحاكم في "**المستدرك**" ، وراجع "**نتائج الأفكار**" .

(3) أخرجه مسلم في "**صحيحه**" (763/ 191) [**كتاب صلاة المسافرين وقصرها-باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه**] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

باب
آداب دخول المسجد

فإذا أردت الدخول إلى المسجد فقدم رجلك اليمنى وقل: " **باسم الله . أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم** " ، " **اللهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد ، اللهمّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك** " (1) .

ومهما رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل : "**لا أربح الله تجارتك** " (2) .

وإذا رأيت فيه من ينشد ضالة فقل: " **لا ردّها الله عليك؛فإن المساجد لم تبن لهذا** " (3) ، كذلك أمر رسول الله ﷺ .

فإذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلي ركعتي التحية ، فإن لم تكن صليت في بيتك ركعتي الفجر فيجزئك أداؤهما عن التحية .

فإذا فرغت من الركعتين فانو الاعتكاف ، ولا تشتغل إلى وقت الفرض إلا بفكر ، أوتسبيح ، أو قراءة قرآن ، فإذا سمعت الأذان في أثناء ذلك فاقطع ما أنت فيه ، واشتغل بجواب المؤذن .

فإذا قال المؤذن : " **الله أكبر** " فقل مثل ذلك ، وكذلك في كل كلمة إلا في الحيعلتين فقل فيهما :" **لا حول ولا قوة إلا بالله** " (4) .

---

(1) راجع "**سنن أبي داود**" (465، 466) ، والترمذي (314، 315) ، والنسائي (729) ، وابن ماجة (771، 772، 773) ، و"**عمل اليوم والليلة**" لابن السني رحمه الله [**باب ما يقول إذا دخل المسجد**] ،و"**الدعاء**" للطبراني [**باب القول عند دخول المسجد والخروج منه**] ص150-151ط/ دار الكتب العلمية ،و"الأذكار" للنووي ، و"**نتائج الأفكار**" .

(2) أخرجه الترمذي (1321) وحسنه ،والدارمي (1401) ، وصححه ابن خزيمة (1305) ، وابن حبان (1650) ، والحاكم .

(3) أخرجه مسلم (568) ، وأحمد (8572) و (2/ 420) ، وأبو داود (473) ، وابن ماجة (767) ، وابن خزيمة (1302) ، وابن حبان (1651 -إحسان) .

(4) راجع "**صحيح البخاري**" (612، 613) ، و"**صحيح مسلم**" (385) ، وتعليق العلامة أبي الأشبال أحمد شاكر رحمه الله على الحديث رقم(208) من "**سنن الترمذي**" .

فإذا قال المؤذن :

لا إله إلا الله في آخر الأذان ، فقل: " **وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً** " فمن قال ذلك غفر الله له ذنوبه [1] .

ثم صلِّ وسلم على النبي ﷺ ، ثم قل : " **اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته** " فمن قال ذلك حلت له شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة [2] .

فإذا سمعت الأذان وأنت في الصلاة فتمم الصلاة ، ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه .

ولا تغفل عن الدعاء بين الأذان والإقامة ؛ فقد قال رسول الله ﷺ : "**الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة ، فادعوا**" [3] .

فإذا أحرم الإمام بالفرض فلا تشتغل إلا بالاقتداء به ، وصل الفرض كما سيتلى عليك في صفة الصلاة وآدابها .

فإذا فرغت فقل: " **أستغفر الله . أستغفر الله . أستغفر الله ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام** " [4] .

---

(1) أخرجه مسلم (386) ، وأحمد (1565-شاكر) ، وأبو داود (525) ، والترمذي (210)، والنسائي (679) ، وابن ماجة (721)، وأبو يعلى (722)، وابن خزيمة (421) ، وابن حبان (1693-إحسان) .

(2) أخرجه البخاري (614، 4719)، والإمام أحمد (3/ 354)، وأبو داود (529)، والترمذي (211) ، وابن ماجة (722)،وابن خزيمة (420)،وابن حبان (1689) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(3) أخرجه الإمام أحمد (3/ 155، 225، 254) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (67)، وأبو يعلى في "**مسنده**" (6/ 3679 ، 3680)، وصححه ابن خزيمة (425، 426، 427)، وابن حبان (1696) .

(4) مسلم (591) ، وأحمد (5/ 279،275- 280) ، وأبو داود (1513) ، والترمذي (300) ، والنسائي (1337) ، وابن ماجة (928)، والدارمي (1348)، وابن خزيمة (737) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

" اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " [1].

" لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون" [2] .

" لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم ! لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ " [3] .

ثم سبح الله [**سبحان الله**] ثلاثًا وثلاثين ، واحمد الله [**الحمد لله**] ثلاثًا وثلاثين ، وكبر الله [**الله أكبر**] ثلاثًا وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون ، ثم قل تمام المائة : **" لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير "** فمن قال ذلك غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر [4] .

واقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:1،4] ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ

(1) البخاري في **"الأدب المفرد"** (690) ، والإمام أحمد (5/ 244، 245) ، وأبو داود (1522) ، والنسائي (1303) ، وصححه ابن خزيمة (751) ، وابن حبان (2020، 2021) ، والحاكم ، والنووي في **"الرياض"** (391) ، وفي **"الأذكار"** (159) .

(2) مسلم (594) ، وأحمد (4/ 4، 5) ، وأبو داود (1506) ، والنسائي (1340) ، وابن خزيمة (740، 741) ، وابن حبان (2008، 2009، 2010).

(3) البخاري (844، 1477، 2408، 5975، 6330، 6473، 6615، 7292) ، وفي **"الأدب المفرد"** (460) ، ومسلم (593) ، وأبو داود (1505) ، والنسائي (1341، 1342) ، والدارمي (1349) ، وابن خزيمة (742) ، وابن حبان (2005، 2006) .
وقوله : ((**ولا ينفع ذا الجَد** ...)) هو بفتح الجيم في الأشهر ، وهو: الحظ والعظمة والسلطان، والمعنى: لا ينفع صاحب ذلك حظه ، أي: لا ينجيه حظه منك ، وإنما ينفعه وينجيه العمل الصالح . وقيل : ((**الجِد**)) بكسر الجيم ، وهو ضعيف ، ومعناه: الاجتهاد، أي: لا ينفع ذا الاجتهاد منك اجتهاده ، إنما ينفعه وينجيه رحمتك . وقيل غير ذلك . راجع **"شرح صحيح مسلم "** للإمام النووي (**قدس الله روحه ونور ضريحه**) (4/ 196) .

(4) رواه مسلم (597) ، وأحمد (2/ 483) من حديث أبي هريرة ﷺ .

﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق:1-5]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس:1-6] (1).

" **اللهم اغفر لي خطاياي وذنوبي كلها ، اللهم أنعشني ، واجبرني ، واهدني لصالح الأخلاق ؛ فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت** " (2) .

وهذه الأذكار تقال بعد السلام من جميع الصلوات ، وزد في صلاتي الفجر والمغرب :" **لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير** " عشر مرات .

و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ كل سورة ثلاث مرات (**) .

وزد أيضاً في صلاة الصبح :" **اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً طيباً ، وعملاً متقبلاً** "(4).

ولتكن أوقاتك بعد الصلاة إلى طلوع الشمس موزعة على أربع وظائف :

1 – وظيفة في الدعوات.

2 – ووظيفة في الأذكار والتسبيحات .

3 – ووظيفة في قراءة القرآن .

---

(1) "**المسند**" (4/ 159،155، 201) ، وأبو داود (1523) ، والترمذي (2903) وحسنه ، والنسائي (1336) ، وصححه ابن خزيمة (755) ، وابن حبان (2004) .

(2) رواه ابن السني ، والطبراني في "**المعاجم الثلاثة**" من طرق يشد بعضها بعضًا ، وجود بعضها الهيثمي ، والحديث حسنه السيوطي والألباني ، وراجع "**فيض القدير**" (2/ 188) ط/ مكتبة مصر ، و"**مجمع الزوائد**" (10/ 111، 112، 173) .

(**) بيد أن في القلب شيئًا من ثبوت هذين الذكرين ، وكذلك قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة ، فليحرر .

(3) "**المسند**" (6/ 294، 305، 318، 322)، والنسائي في "**اليوم والليلة**" (102)، وابن ماجة (925)، وأبو يعلى (12/ 6930، 6950) ، والطبراني في "الدعاء" ص213ط/ دار الكتب العلمية ، وابن السني (54، 110) ، وحسنه الحافظ في "**نتائج الأفكار**" ، وراجع مجمع الزوائد" (10/ 111) .

4 - ووظيفة في التفكر، فتفكر في ذنوبك وخطاياك ، وتقصيرك في عبادة مولاك ، وتعرضك لعقابه الأليم ، وسخطه العظيم.

وترتب أوقاتك بتدبيرك أورادك في جميع يومك ؛ لتتدارك به ما فرط من تقصيرك ، وتحترز من التعرض لسخط الله تعال الأليم في يومك ، وتنوي الخير لجميع المسلمين ، وتعزم ألا تشغل في جميع نهارك إلا بطاعة الله تعالى ، وتقصد في قلبك الطاعات التي تقدر عليها ، وتختار أفضلها ، وتتأمل تهيئة أسبابها لتشتغل بها ، ولا تدع عنك التفكر في قرب الأجل وحلول الموت القاطع للأمل ، وخروج الأمر عن الاختيار وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار.

واعلم أن أفضل الأوقات للذكر في النهار الذكر بعد صلاة الصبح ، لاسيما إذا كان في المسجد ، وكان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه يذكر الله حتى تطلع الشمس [1] .

ورووا عنه ﷺ أنه قال : **" من صلى الغداة في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قام فصلى ركعتين ؛ انقلب بأجر حجة وعمرة "** [2] .

وقال ﷺ : **" لأن أقعد أصلي مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل ، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة "** [3] .

---

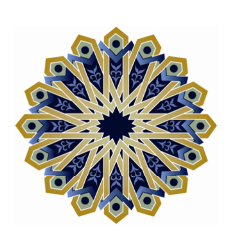
(1) **"صحيح مسلم"** (670) من حديث جابر بن سمرة (رضي الله عنه) .

(2) حسن: رواه الطبراني في **"الكبير"** (7741) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وجود إسناده الحافظ المنذري في **"الترغيب"** ، وتبعه الهيثمي في **"المجمع"** (10/ 104) ، وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه الترمذي (586) ، وقال : **"حسن غريب"** .

(3) **حسن**: رواه أبو داود (3667) ، والطبراني في **"الدعاء"** ص524-525 من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وحسنه الحافظ العراقي ، وتبعه السيوطي كما في **"فيض القدير"** (5/ 332) ، وراجع **"المجمع"** (10/ 104-107) .

تنبيه : تعقب المناويُّ رحمه الله الحافظين العراقيَّ والسيوطيَّ في تحسينهما هذا الحديث بأن الهيثمي ذكر أن في إسناده أبا عائد وهو مختلف فيه ، وأقول : كلام الهيثمي رحمه الله (10/ 105) على رواية أبي يعلى (3392) ، أما رواية أبي داود المختصرة فليس في إسنادها أبو عائد هذا . والله أعلم

فلا تنس نصيبك من الذكر ، واعلم أن " **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره كمثل الحي والميت** "[1] .



(1) رواه البخاري (6407) واللفظ له ، ومسلم (779) من حديث أبي موسى ﷺ .

نصيحة :
اجتهد في اقتناء رسالة "**مختصر النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة**" للشيخ المقدَّم محمد بن إسماعيل المقدَّم حفظه الله ، وكتاب "**الوابل الصيب من الكلم الطيب**" للعلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله ، و"**الكلم الطيب**" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، و "**الأذكار**" للإمام النووي رحمه الله ، و "**عمل اليوم والليلة**" للإمام ابن السني رحمه الله .

باب
آداب ما بعد طلوع الشمس إلى الزوال

فإذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح فصل ركعتين وذلك عند زوال وقت الكراهة ، فإذا أضحى النهار ومضى منه قريب من ربعه ، صل صلاة الضحى ركعتين أو أربعًا أو ستًا أو ثمانية مثنى مثنى . والصلاة خير كلها ، فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقلل ، فليس بين طلوع الشمس والزوال راتبة من الصلاة إلا هذه ، وقد قال النبي ﷺ : " **يصبح على كل سُلامى [أي : مفصل] من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزىء من ذلك ركعتين يركعهما من الضحى** " [1] .

وفي الحديث القدسي : " **يا ابن آدم اكفني [أي : صلِّ لي] أول النهار بأربع ركعات ، أَكْفِكَ بهن آخرَ يومك** " [2] .

وبعث رسول الله ﷺ بعثًا فأعظموا الغنيمة وأسرعوا الكرة فقال رجل : يا رسول الله! ما رأينا بعثًا قط أسرع كرة ولا أعظم غنيمة من هذا البعث، فقال ﷺ: " **ألا أخبركم بأسرع كرة منهم وأعظم غنيمة ؟ رجل توضأ فأحسن الوضوء ، ثم عمد إلى المسجد فصلى فيه الغداة ، ثم عقب بصلاة الضحوة؛ فقد أسرع الكرة وأعظم الغنيمة** " [3] .

---

(1) رواه مسلم (720/ 84) ، وأحمد (5/ 167) ، وأبو داود (1286) من حديث أبي ذر ﷺ .

(2) رواه أحمد (4/ 153، 201) من حديث عقبة بن عامر ﷺ وإسناده صحيح ، ورواه أحمد (5/ 287،286) ، وأبو داود (1289) ، والدارمي (1451) وابن حبان (2533-**إحسان**) من حديث نُعيم بن هَمَّار ﷺ ، وصحح إسناده الإمام النووي في "**المجموع**" ، ووافقه الألباني وزاد "**على شرط مسلم**" . وراجع "**الترغيب والترهيب**" [**كتاب النوافل-الترغيب في صلاة الضحى**] ، و"**المجمع**" (2/ 235-236) ، و"**فيض القدير**" (4/ 603) .

(3) رواه أبو يعلى (11/ 6559) وقال المنذري في "**الترغيب**": "**رجال إسناده رجال الصحيح**" ، وتبعه الهيثمي في "**المجمع**" (2/ 235)، وصححه ابن حبان (2535) ، وراجع "الصحيحة" (2531) .

وقال رسول الله ﷺ : " **من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه ؛ فأجره كأجر المعتمر ، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين** " [1] .

فما فضل من أوقاتك فلك فيه أربع حالات :

الحال الأولى وهي الأفضل: أن تصرفه في طلب العلم النافع في الدين ، دون الفضول الذي أكب الناس عليه وسموه علمًا.

والعلم النافع هو : ما يزيد في خوفك من الله تعالى ، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك ، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك ، ويقلل من رغبتك في الدنيا ، ويزيد في رغبتك في الآخرة ، ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها ، ويطلعك على مكايد الشيطان وغروره ، وكيفية تلبيسه على علماء السوء حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه ، حيث أكلوا الدنيا بالدين ، واتخذوا العلم ذريعة ووسيلة إلى أخذ أموال السلاطين، وأكل أموال الأوقاف واليتامى والمساكين، وصرفوا همتهم طول نهارهم إلى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق ، واضطرهم ذلك إلى المراءاة والمماراة والمنافسة والمباهاة .

فإن دعتك نفسك إلى ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار استثقالاً لذلك ؛ فاعلم أن الشيطان اللعين قد دس في قلبك الداء الدفين ، وهو حب المال والجاه ، فإياك أن تغتر به فتكون ضحكة له فيهلكك ثم يسخر منك.

فإن جربت نفسك مدة في الأوراد والعبادات فكانت لا تستثقلها كسلًا عنها، لكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع ولم ترد به إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة ، فذلك أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية ، ولكن الشأن في صحة النية ، فإن لم تصح النية فهو معدن غرور الجهال ، ومزلة أقدام الرجال.

---

(1) رواه الإمام أحمد (5/ 268) ، وأبو داود (558) من حديث أبي أمامة ﷺ ، وسكت عنه أبو داود رحمه الله ، ووافقه الحافظ المنذري في "**ترغيبه**" وقد قال في مقدمة الكتاب: " **كل حديث عزوته إلى أبي داود وسكتُّ عنه فهو كما ذكر أبو داود ، ولا ينزل عن درجة الحسن ، وقد يكون على شرط الشيخين أو أحدهما** " اهـ ، وحسنه الألباني .

الحال الثانية: ألا تقدر على تحصيل العلم النافع في الدين ، ولكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح والقراءة والصلاة ، فذلك من درجات العابدين وسير الصالحين وتكون أيضًا بذلك من الفائزين.

الحال الثالثة: أن تشتغل بما يصل منه خير إلى المسلمين ، ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين ، أو تتيسر به الأعمال الصالحة للصالحين ، والسعي في إطعام الفقراء والمساكين ، والتردد مثلًا على المرضى بالعيادة ، وعلى الجنائز بالتشييع ، فكل ذلك أفضل من النوافل ، فإن هذه عبادات وفيها رفق للمسلمين.

الحال الرابعة: ألا تقوى على ذلك ، فاشتغل بحاجاتك اكتسابًا على نفسك أو على عيالك ، وقد سلم المسلمون منك وآمنوا من لسانك ويدك ، وسلم لك دينك إذا لم ترتكب معصية ، فتنال بذلك درجة أصحاب اليمين إن لم تكن من أهل الترقي إلى مقامات السابقين .

فهذا أقل الدرجات في مقامات الدين وما بعد هذا فهو من مراتع الشياطين ، وذلك بأن تشتغل ـ والعياذ بالله ـ بما يهدم دينك ، أو تؤذي به عبدًا من عباد الله تعالى ، فهذه رتبة الهالكين ، فإياك أن تكون في هذه الطبقة.

واعلم أن العبد في حق دينه على ثلاث درجات:

إما سالم: وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصي.

أو رابح: وهو المتطوع بالقربات والنوافل.

أو خاسر: وهو المقصر عن اللوازم.

فإن لم تقدر أن تكون رابحًا فاجتهد أن تكون سالمًا ، وإياك ثم إياك أن تكون خاسرًا.

والعبد في حق سائر العباد له ثلاث درجات:

الأولى: أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة ، وهو أن يسعى في أغراضهم رفقًا بهم وإدخالاً للسرور على قلوبهم.

الثانية: أن ينزل في حقهم منزلة البهائم والجمادات ، فلا ينالهم خيره ، ولكن كف عنهم شره.

الثالثة: أن ينزل في حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات ، لا يرجى خيره ، ويتقى شره.

فإن لم تقدر على أن تلتحق بأفق الملائكة ، فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات إلى درجة العقارب والحيات والسباع الضاريات.

فإن رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين ، فلا ترض لها بالهوى إلى أسفل سافلين فلعلك تنجو كفافاً ، لا لك ولا عليك.

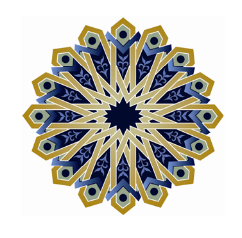
فعليك في بياض نهارك ألا تشتغل إلا بما ينفعك في معادك أو معاشك الذي لا تستغني عن الاستعانة به على معادك.

عليك بما يفيدك في المعاد ... وما تنجو به يوم التناد

يسرك أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد ؟

فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس ، وكنت لا تسلم ؛ فالعزلة أولى ، فعليك بها ففيها النجاة والسلامة.

فإن كانت الوساوس في العزلة تجاذبك إلى مالا يرضي الله تعالى ، ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات ؛ فعليك بالنوم فهو أحسن أحوالك وأحوالنا ، إذ عجزنا عن الغنيمة ورضينا بالسلامة في الهزيمة ، فما أخس حال من سلامة دينه في تعطيل حياته ؛ إذ النوم أخو الموت ، وهو تعطيل للحياة والتحاق بالجمادات.



بـاب
آداب الاستعداد لسائر الصلوات

ينبغي أن تستعد لصلاة الظهر قبل الزوال ، فتقدم القيلولة إن كان بك قيام في الليل أو سهر في الخير ، فإن فيها معونة على قيام الليل كما أن في السحور معونة على صيام النهار ، والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام بالنهار.

فإذا قِلت فاجتهد أن تستيقظ قبل الزوال ، وتتوضأ وتحضر المسجد وتصلي تحية المسجد وتنتظر المؤذن فتجيبه ، ثم تقوم فتصلي أربع ركعات عقب الزوال ، وكان رسول الله ﷺ يطوِّلهن ويقول: " **إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح** " [1] .

وهذه الأربع قبل الظهر سنة مؤكدة ففي الخبر: " **من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها ؛ حَرَّمه الله على النار**" [2] .

ثم صلِّ الفرض مع الإمام ، ثم صل بعد الفرض ركعتين إن شئت ، والأفضل أن تصلي أربع ركعات للخبر المتقدم.

ولا تشتغل إلى العصر إلا بتعلم علم ، أو إعانة مسلم ، أو قراءة قرآن ، أو سعي في معاش لتستعين به على دينك.

ثم صلِّ الفرض مع الإمام ، ثم صل بعد الفرض ركعتين إن شئت ، والأفضل أن تصلي أربع ركعات للخبر المتقدم.

ولا تشتغل إلى العصر إلا بتعلم علم ، أو إعانة مسلم ، أو قراءة قرآن ، أو سعي في معاش لتستعين به على دينك.

ثم صل أربع ركعات قبل العصر فهي سنة مؤكدة ، وقد قال رسول الله ﷺ : " **رحم الله امرًأ صلى قبل العصر أربعًا** " [3] ، فاجتهد أن ينالك دعاؤه ﷺ .

---

(1) أخرجه الإمام أحمد (3/ 411) ، والترمذي (478) ، وفي **"الشمائل المحمدية"** (280) وحسنه ، وصححه العلامة أبو الأشبال أحمد شاكر ، والعلامة أبو عبد الرحمن ناصر الدين الألباني .

(2) أخرجه الترمذي (428) وغيره ، وقال الترمذي : **"حديث حسن صحيح"** .

(3) أخرجه الإمام أحمد (5980) ، وأبو داود (1271) ، والترمذي (430) وحسنه ، وصححه ابن خزيمة (1193) ، وابن حبان (2453) ، وكذا صححه أبو الأشبال رحمه الله .

ثم صل الفرض مع الإمام ، ولا تشتغل بعد العصر إلا بمثل ما سبق قبله ، ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة ، فتشتغل في كل وقت بما اتفق كيف اتفق ، بل ينبغي أن تحاسب نفسك وترتب أورادك في ليلك ونهارك ، وتعيّن لكل وقت شغلاً لا تتعداه ، ولا تؤثر فيه سواه ، فبذلك تظهر بركة الأوقات.

فأما إذا تركت نفسك سدى مهملاً إهمال البهائم ، لا تدري بماذا تشتغل في كل وقت ، فينقضي أكثر أوقاتك ضائعًا ، وأوقاتك عمرك ، وعمرك رأس مالك وعليه تجارتك ، وبه وصولك إلى نعيم دار الأبد في جوار الله تعالى ، فكل نفس من أنفاسك جوهرة لا قيمة لها ؛ إذ لا بدل له فإذا فات فلا عود له .

فلا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم ، فأي خير في مال يزيد وعمر ينقص ؟!

ولا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح ، فإنهما رفيقاك يصحبانك في القبر حيث يتخلف عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك .

ثم إذا اصفرت الشمس فاجتهد أن تعود إلى المسجد قبل الغروب وتشتغل بالتسبيح والاستغفار ، فإن فضل هذا الوقت كفضل ما قبل الطلوع قال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه:130] .

ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار ، فإذا سمعت الأذان فأجبه ، وقل بعده ما ذكرناه لك قبل ذلك .

ثم صل ركعتين ؛ فقد قال رسول الله ﷺ : **" صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب "** ، ثم قال في الثالثة : **" لمن شاء "** [1] .

ثم صل الفرض مع الإمام ، وصل بعده ركعتين فهما راتبة المغرب .

وإن أمكنك أن تنوي الاعتكاف إلى العشاء وتحيي ما بين العشاءين بالصلاة فافعل ؛ فقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى ، وهي ناشئة الليل لأنه أول نشأته ،

(1) أخرجه البخاري (1183، 7368) ، وأحمد (5/ 55) ، وأبو داود (1281) .

وقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة:16] : " **نزلت في انتظار هذه الصلاة التي تدعى العَتَمَة** " [1].

وفي رواية: " **كانوا يتيقظون ما بين المغرب والعشاء يصلون** " [2].

وعن حذيفة رضي الله عنه **قال :** أتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب ، فصلى إلى العشاء[3] .

فإذا دخل وقت العشاء فصل ركعتين قبل الفرض ؛ فقد قال رسول الله ﷺ : "**بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة**" ، ثم قال في الثالثة : "**لمن شاء** "[4].

ثم صل الفرض وصل الراتبة ركعتين بعده ، ثم صل الوتر ، وإن شئت أوترت بواحدة ، أو بثلاث ، أو بخمس ، أو بسبع بتشهد واحد وتسليمتين ، وإن شئت فأوتر بتسع تجلس في الثامنة للتشهد ثم تأتي بالتاسعة وتجلس للتشهد والتسليم .

وكان رسول الله ﷺ إذا أوتر بثلاث ركعات قرأ فيها سورة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:1]، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون:1]، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:1] في ركعة ركعة [5].

---

(1) الترمذي (3196) وقال: "**حسن صحيح**"، وعزاه ابن كثير في "**تفسيره**" (6/ 165) للطبري،وجود إسناده .

(2) أبو داود (1321) ، وراجع "**الدر المنثور**" للسيوطي ، "**فتح القدير**" للشوكاني في تفسير هذه الآية .

(3) رواه الترمذي (3781) وحسنه ، وصححه ابن خزيمة (1194) ، وابن حبان (6960)، وعزاه الحافظ المنذري في "**الترغيب**" للنسائي ، وجود إسناده .

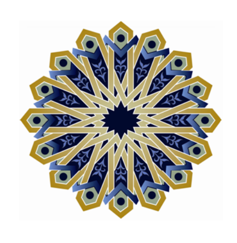
(4) رواه البخاري (627،624) ، ومسلم (838) ، وأحمد (4/ 86، 5/ 54، 56، 57) ، وأبو داود (1283) ، والترمذي (185) ، والنسائي (681) ، وابن ماجة (1162) .
والمعنى: بين كل أذان وإقامة وقت صلاة ، والمقصود : صلاة النافلة .

(5) رواه أحمد (5/ 123) ، وأبو داود (1423) ، والنسائي (1699، 1700، 1701، 1729، 1730) ، وابن ماجة (1171) من حديث أبي ابن كعب رضي الله عنه ، وصحح إسناده الحافظ العراقي رحمه الله في "**تخريج أحاديث الإحياء**" .

وكان النبي ﷺ يقول بعد التسليم من الوتر: " **سبحان الملك القدوس** " ثلاث مرات ، ويرفع صوته بالثالثة [1].

فإن كنت عازماً على قيام الليل فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك وترًا [*]

ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب ، ولا تشتغل باللهو واللعب فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك ، فإنما الأعمال بخواتيمها .



(1) رواه أبو داود (1430) ، والنسائي (1699، 1701، 1729، 1732، ...) وفي مواضع أخر ، وغيرهما .وصحح إسناده الإمام النووي رحمه الله في "**الأذكار**" .

(*) راجع "**صحيح البخاري**" [**كتاب الوتر – باب ليجعل آخر صلاته وترًا**] حديث رَقْم (998)، و"**صحيح مسلم**" [**كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة من آخر الليل**] حديث رقم (751) .

واعلم أن النبي (ﷺ) قد قال : " **لا وِتْرَانِ في ليلة** " أخرجه الإمام أحمد (4/ 23) ، وأبو داود (1439) ، والترمذي (470) وحسنه ، والنسائي (1679) ، وصححه ابنا خزيمة (1101) ، وحبان (2449 –إحسان) .

باب
آداب النـــوم

فإذا أردت النوم فتوضأ وضوءك للصلاة[1]، وانفض فراشك بطرف ردائك[2].

واجمع كفيك واقرأ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين ، ثم امسح بهما ما استطعت من جسدك ، افعل ذلك ثلاث مرات [3].

ثم اقرأ آية الكرسي [4]، و ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:285] إلى آخر السورة [5].

وسبح الله واحمده وكبره ثلاثاً وثلاثين[6] .

ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وضع يدك اليمني تحت خدك ثم قل : **"اللهم قِنِي عذابك يوم تبعث عبادك "** ثلاث مِرَار [7] ، **"باسمك اللهم أموت وأحيا "** [8]، **"اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك،اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت،وبنبيك الذي أرسلت "** واجعلهن من آخر ما تقول [9].

---

(1) البخاري (247، 3611) ، ومسلم (2710) .
(2) البخاري (6320) ، ومسلم (2714) .
(3) البخاري (5017، 5748، 6319) .
(4)البخاري (2311، 3275، 5010) ، وراجع "فتح الباري" (4/ 598) ط/ دار الحديث.
(5) البخاري (4008، 5008، 5009، 5040، 5051) ، ومسلم (807) .
(6) البخاري (6318) ، ومسلم (2727) .
(7) البخاري في **"الأدب المفرد"** (1215) ، وأبو داود (5045) ، والترمذي (3398، 3399) ، وفي **"الشمائل المحمدية"** (244) ، وابن ماجة (3877) وغيرهم ، وراجع **"فتح الباري"** (11/ 135) ، و**"الصحيحة"** (2703، 2754) .
(8) سبق تخريجه . راجع الحاشية رَقْم (1) ص30.
(9) البخاري (247، 6311، 6313، 6315، 7488) ، ومسلم (2710) .

وكان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ سورتي: الإسراء ، والزمر [1].

وأوصى (ﷺ) إنسانًا فقال له: " **إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ : ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ثم نَمْ على خاتمتها ؛ فإنها براءة من الشرك** " [*].

وفي "صحيح مسلم" [**في كتاب الذكر والدعاء والتوبة – حديث رَقْم** (2712)] عن عبد الله بن عمر أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه قال: " **اللهم خَلَقْتَ نفسي وأنت تَوَفَّاها ، لك مَمَاتُها وَمَحْيَاها ، إن أَحْيَيْتَهَا فاحْفَظْهَا ، وإن أَمَتَّهَا فاغفر لها . اللهم! إني أسألك العافية**" .

فقال رجل لابن عمر: أَسَمِعْتَ هذا مِن عُمَرَ ؟

فقال: مِن خَيْرٍ من عمرَ ، من رسول الله (ﷺ) .

ثم روى مسلم (**رحمه الله**) (2713) عن سهيل بن أبي صالح قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام ، أن يَضْطَجِعَ على شِقِّهِ الأيمن ، ثم يقول :

" **اللهم! رَبَّ السماوات وربَّ الأرض ورَبَّ العرش العظيم ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شيء ، فالقَ الحب والنوى ، ومُنْزِلَ التوراةِ والإنجيلِ والفرقان ، أعوذ بك من شر كُلِّ شيء أنت آخِذٌ بناصيته .**

اللهم! أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقضِ عَنَّا الدَّيْنَ ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفقر "وكان يروي ذلك عن أبي هريرة (ﷺ) ، عن النبي (ﷺ) .

---

(1) رواه الإمام أحمد (6/ 68، 122، 189) ، والترمذي (2920، 3405) وحسنه ، وصححه ابن خزيمة (1163) .

(*)أخرجه الإمام أحمد (5/ 456) ، وأبو داود (5055) ، والترمذي (3403) ، والدارمي (3427) وغيرهم ، وهو حديث حسن كما جزم بذلك شيخنا الحويني – حفظه الله – في "**النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة**" تحت الحديث رقم (146) ، وقد صححه ابن حبان (789، 790) ، والحاكم (2077) ، ووافقه الذهبي ، وأقره المنذري، ورمز له السيوطي بالصحة في "**الجامع الصغير**" (367) ، وراجع "**فيض القدير**" (1/ 324-325) ، و"**مجمع الزوائد**" (10/ 121) .

واعلم أن النوم مثل الموت ، واليقظة مثل البعث ، فكن مستعدًا للقائه بأن تنام على طهارة ، وتكون وصيتك مكتوبة تحت رأسك ، وتنام تائبًا من الذنوب مستغفرًا عازمًا على ألا تعود إلى معصية ، واعزم على الخير لجميع المسلمين إن بعثك الله تعالى ، وتذكر أنك ستضجع في اللحد وحيدًا فريدًا ، ليس معك إلا عملك ، ولا تجزى إلا بسعيك.

ولا تستجلب النوم تكلفًا بتمهيد الفرش الوطيئة ؛ فإن النوم تعطيل للحياة إلا إذا كانت وبالاً عليك فنومك سلامة لدينك.

واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثر من ثماني ساعات ، فيكفيك إن عشت مثلا ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة وهو ثلث عمرك.

وأعدّ عند النوم سواكك وطهورك ، واعزم على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح ، فركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر ، فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك ، فلن تغني عنك كنوز الدنيا إذا متَّ.

فإذا تقلبت من جنب إلى جنب فقل : " لا إله إلا الله الواحد القهار ، رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار " [1] .

فإذا فزعت من النوم أو رأيت ما تكره في منامك فانفث عن يسارك ثلاثاً ، وقل: **" أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون "** [2] ، وتحول عن جنبك الذي كنت عليه .

واعلم أن النبي ﷺ قد قال : **" من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله ، وسبحان الله ،**

---

(1) النسائي في **"اليوم والليلة"** (864) ، وصححه ابن حبان (5530-إحسان) ، والحاكم ، والعراقي. راجع **"فيض القدير"** (5/ 150) ، **"الصحيحة"** (2066) .
(2) رواه الإمام أحمد (6696-شاكر) ، وأبو داود (3893) ، والترمذي (3528) وحسنه ، والنسائي في **"اليوم والليلة"** (771) ، وابن السني في **"اليوم والليلة"** (749) .

ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لي أو دعا ؛ استجيب له ، فإن توضأ ثم صلى ؛ قبلت صلاته " (1) .

فإذا استيقظت فارجع إلى ما عرفتك أولاً ، وداوم على هذا الترتيب بقية عمرك، فإن شقت عليك المداومة فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظارًا للشفاء ، وتفكر في قصر عمرك ، وإن عشت مثلاً مائة سنة فهي قليلة بالإضافة إلى مقامك في الدار الآخرة وهي أبد الآباد ، وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل في طلب الدنيا شهرًا أو سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة مثلاً ، فكيف لا تتحمل ذلك أيامًا قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد ؟ .

ولا تطوِّل أملك فيثقل عليك عملك ، وقدِّر قرب الموت ، وقل في نفسك : إني أتحمل المشقة اليوم فلعلي أموت الليلة ، وأصبر الليلة فلعلي أموت غدًا ، فإن الموت لا يهجم في وقت مخصوص وحال مخصوص وسن مخصوص ، فلا بد من هجومه ، فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا ، وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها إلا مدة يسيرة ، ولعله لم يبق من أجلك إلا يوم واحد أو نفس واحد ، فقدر هذا في قلبك كل يوم ، وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يومًا فيومًا ، فإنك لو قدرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله تعالى نفرت واستصعبت عليك ، فإن فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحًا لا آخر له ، وإن سوَّفت وتساهلت جاءك الموت في وقت لا تحتسبه ، وتحسرت تحسرًا لا آخر له ، وعند الصباح يحمد القوم السُّرَى (*)، وعند الموت أتيك الخبر اليقين ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

وإذ أرشدناك إلى ترتيب الأوراد ، فلنذكر لك آداب الصلاة والصوم والإمامة والقدوة والجمعة.

---

(1) أخرجه البخاري (1154) ، وأحمد (5/ 313) ، وأبو داود (5060) ، والترمذي (3414) ، وابن ماجة (3878) ، والدارمي (2687) ، وابن حبان (2596-إحسان) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ .

(*) هذا مثل يُضرب للرجل يتحمل المشقة رجاء الراحة ، انظر **"مجمع الأمثال"** لأبي الفضل الميداني - المثل رَقْم (2382) .

باب
آداب الصلاة [1]

إذا فرغت من طهارة الحدث وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان ، ومن ستر العورة من السرة إلى الركبة.. فاستقبل القبلة ، واستو قائمًا ، وأحضر قلبك ما أنت فيه ، وفرغه من الوساوس ، وانظر بين يدي من تقوم ومن تناجي ، واستح أن تناجي مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات.

واعلم : أن الله تعالى مطلع على سريرتك وناظر إلى قلبك ، فإنما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرعك ، واعبده في صلاتك كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

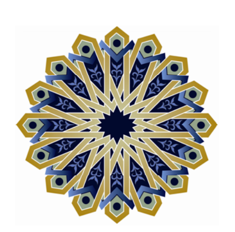
فإن لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك لقصور معرفتك بجلال الله تعالى، فقدر أن رجلاً صالحاً من وجوه أهل بيتك ينظر إليك ليعلم كيف صلاتك؛ فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك ، ثم ارجع إلى نفسك وقل: يا نفس السوء! ألا تستحين من خالقك ومولاك إذ قدرت إطلاع عبد ذليل من عباده عليكِ ، وليس بيده ضرك ولا نفعك ، خشعت جوارحك ، وحسنت صلاتك، ثم إنك تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته أهو -تعالى- عندكِ أقل من عباده ؟! فما أشد طغيانك وجهلك! وما أعظم عداوتك لنفسك! .

وعالج قلبك بهذه الحيل فعسى أن يحضر معك في صلاتك ؛ فإنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ، وأما ما أتيت مع الغفلة والسهو فهو إلى الاستغفار والتكفير أحوج.

---

(1) أوصيك أيها القارئ الكريم بقراءة كتاب **"صفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها"** لمحدث الشام العلامة محمد ناصر الدين الألباني (**رحمه الله تعالى**)، فإنه كتاب فريد في بابه، وحيد في محرابه، لم يأتِ أحد بمثاله، ولم ينسج على منواله ... وهو مطبوع متداول، والحمد لله . وقد نقلت هنا تلخيصَ شيخنا العلامة عبد العظيم بن بدوي (**حفظه الله وأمتع المسلمين بطول حياته**) لهذا الكتاب المبارك بتصرف يسير، والله الموفق .

وأنا ذاكر لك صفة صلاة النبي ﷺ، فاحرص على أن تصلي كما كان رسـول الله ﷺ يصلي ، واعلم أنه قد قال: **" صلوا كما رأيتموني أصلي "** [1] .



(1) رواه البخاري (631) .

باب
صفة صلاة النبي ﷺ

كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة استقبل الكعبة قائمًا قريبًا من السترة ، وكان ﷺ يقول : " **إنما الأعمال بالنيات ، إنما لكل امرئ ما نوى** " [1] .

ثم كان ﷺ يستفتح الصلاة بقوله : "**الله أكبر**" . وكان يرفع يديه مع التكبير ، ثم يضع اليمنى على اليسرى فوق صدره ، ثم يرمي ببصره نحو الأرض، ثم يستفتح القراءة بأدعية كثيرة متنوعة ، يحمد الله تعالى فيها ويمجده ويثني عليه ، منها: "**سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جَدُّك ، ولا إله غيرك**" ثم كان ﷺ يستعيذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم ، ثم يقرأ: "**بسم الله الرحمن الرحيم**" ولا يجهر بها ، ثم يقرأ الفاتحة ويقطعها آية آية . فإذا انتهى من الفاتحة

---

(1) أخرجه البخاري (1، 54، 2529، 3898، 5070، 6689، 6953) ، ومسلم (1907) ، ومالك في "**الموطإ**" (983) رواية محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة ، وأحمد (1/ 25، 43) (168-300شاكر) ، وأبو داود (2201) ، والترمذي (1647) ، والنسائي (75، 3437، 3794) ، وابن ماجة (4227) ، وابن خزيمة (142، 143) ، وابن حبان (388، 389-**إحسان**) ، وابن الجارود في "**المنتقى**" (64) ، والطيالسي في "**مسنده**" (37) ، والحميدي في "**مسنده**" (28) ، وأبو عوانة في "**مسنده**" (5992، 5993) ، والبزار في "**مسنده**" (257) ، والدارقطني في "**سننه**" (1/ 50) ، وأبو نعيم في "**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**" [ج8 ص38 حديث رقم (11324) ط/ مكتبة الإيمان] ، والبغوي في "**شرح السنة**" (1، 206) ، وابن المبارك في "**الزهد**" (188) ، وهناد بن السري في "**الزهد**" (869) ، والبيهقي في "**السنن الكبرى**" (1/ 41) ، (4/ 235) ، (6/ 331)، وفي "**الزهد الكبير**" (241) ، وابن حزم في "**المحلى**" [كتاب الطهارة – مسألة رقم 111- (ج1 ص67) ط/ دار التراث] وغيرهم من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، عن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا به . وليس له طريق تصح غير هذه الطريق كما قال علي بن المديني وغيره . قال الإمام الخطابي رحمه الله : " **لا أعلم خلافًا بين أهل الحديث في ذلك** " . وقال الإمام الترمذي رحمه الله : " **هذا حديث حسن صحيح ... ولا نعرفه إلا من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري . قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله : ينبغي أن نضع هذا الحديث في كل باب** " اهـ . هذا وقد تكلمت على فوائد هذا الحديث ، ونبهت على بعض الأوهام التي وقعت لكثير من الأفاضل حوله في القديم والحديث ، في كتابيّ: " **إتحاف السادات بتخريج أحاديث متفرقات** " ، و"**إتحاف المتقين بفوائد نفيسة متعلقة بأحاديث رياض الصالحين**" يسر الله إتمامهما بخير .

قال: "**آمين**" ، ويجهر ويمد بها صوته . ثم يقرأ بعد الفاتحة سورة غيرهـا ، وكـان يطيلها أحيانًا ، ويقصرها أحيانًا . وكان ﷺ يجهر بالقراءة في صـلاة الـصبح ، وفي الركعتين الأوليين من المغرب والعشاء ، ويسر بها في الظهر ، والعـصر ، والثالثـة من المغرب ، والأخريين من العشاء .

وكـان ﷺ يجهـر بهـا أيـضًا في صـلاة الجمعـة ، والعيـدين ، والاستـسقاء ، والكسوف .

وكان يجعل الركعتين الأخيرتين أقصر من الأوليين قدر النصف قدر خمـس عشرة آية،وربما اقتصر فيهما على الفاتحة .

ثم كان ﷺ إذا فرغ من القراءة سكت سكتة ، ثم رفع يديه وكبر وركع . وكان في الركوع يضع كفيه على ركبتيه ، ويفرج بين أصابعه ، ويمكن يديه مـن ركبتيـه كأنه قابض عليهما .

وكان ﷺ يجافي مرفقيه عن جنبيه ، ويبسط ظهره ويسويه ، حتى لو صُب عليه الماء لاستقر .

وكان ﷺ يطمئن في ركوعه ويقول: "**سبحان ربي العظيم**" ثلاثًا . وكان يقول في هذا الركن أنواعًا من الأذكار والأدعية ، تارة بهذا ، وتارة بهذا .

وكان ﷺ ينهى عن قراءة القرآن في الركوع والسجود .

ثم كان النبي ﷺ يرفع صلبه من الركوع قائلاً: "**سمع الله لمن حمده**" . وكـان يرفع يديه عند هذا الاعتدال ، ويقول وهو قائم : "**ربنا ولك الحمد**" . وكان تارة يزيد على ذلك .

ثم كان ﷺ يكبر ويهوي ساجدًا ، وكان يضع يديه على الأرض قبل ركبتيه (*) وكان يعتمد على كفيه ويبسطهما ، ويضم أصابعه ويوجهها قِبـلَ القبلـة . وكـان يجعلهما حذو منكبيه ، وأحيانًا حذو أذنيه . وكان يمكن أنفه وجبهته من الأرض ،

(*) نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في "**مجموع الفتاوى**" اتفاقَ العلماء على أن المصلي إذا وضـع يديه قبل ركبتيه ، أو ركبتيه قبل يديـه ، فـصلاته صـحيحة ، ولكـنهم تنـازعوا في الأفـضل ، والأفضل إن شاء الله ما أثبتنا . وانظر رسالة "**نهي الـصحبة عـن النـزول بالركبـة**" لفـضيلة الشيخ أبي إسحاقَ الحويني (**حفظه الله تعالى**) .

وكان يقول :" **أُمِرْتُ أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة-وأشار بيده على أنفه- ، واليدين ، والركبتين، وأطراف القدمين ، ولا نَكْفِتَ الثياب والشَّعَر**"[1] .

وكان ﷺ يطمئن في سجوده ، ويقول: " **سبحان ربي الأعلى** " ثلاثًا . وكان يقول أنواعًا من الأذكار والأدعية ، تارة بهذا ، وتارة بهذا .

وكان ﷺ يأمر بالاجتهاد والإكثار من الدعاء في هذا الركن .

ثم كان رسول الله ﷺ يرفع رأسه مكبرًا . ثم يفرش رجله اليسرى فيقعد عليها مطمئنًا ، وكان ينصب رجله اليمنى ويستقبل بأصابعها القبلة . وكان يقول في هذه الجلسة: " **اللهم اغفر لي ، وارحمني ، واجبرني ، وارفعني ، واهدني ، وعافني ، وارزقني** " .

ثم يكبر ويسجد السجدة الثانية كالأولى . ثم يرفع رأسه مكبرًا .

ثم يستوي قاعدًا على رجله اليسرى معتدلاً حتى يرجع كل عظم إلى موضعه[2].

ثم ينهض معتمدًا على الأرض بيديه إلى الركعة الثانية ، وكان يصنع فيها مثل ما يصنع في الأولى ، إلا أنه كان يجعلها أقصر من الأولى .

ثم كان رسول الله ﷺ يجلس للتشهد بعد الفراغ من الركعة الثانية : فإذا كانت الصلاة ركعتين جلس مفترشًا كما كان يجلس بين السجدتين ، وكذلك كان يجلس في التشهد الأول من الصلاة الثلاثة والرباعية . وفي التشهد الأخيركان يجلس متوركاً: يفضي بوركه اليسرى إلى الأرض ويخرج قدميه من ناحية واحدة ويجعل اليسرى تحت فخذه وساقه وينصب اليمنى ، وربما فرشها أحيانًا .

وكان ﷺ إذا قعد في التشهد وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى ، ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى ، وكان يبسط اليسرى ويقبض اليمنى ، ويشير

---

(1) أخرجه البخاري (812) ، ومسلم (490/ 230-عبد الباقي) . قال الإمام النووي رحمه الله : " قوله : "**لا نكفت الثياب ولا الشعر**" أي :لا نضمهما ولا نجمعهما ، والكفت: الجمع والضم ، وقد اتفق العلماء على النهي عن الصلاة وثوبه مشمر أو كمه أو نحوه ، أو رأسه معقوص ، أو مردود شعره تحت عمامته أو نحو ذلك ، فكل هذا منهي عنه باتفاق العلماء " اهـ .

(2) وهذه الجلسة تعرف عند العلماء بجلسة الاستراحة .

بالسبابة ويرمي ببصره إليها ، وكان يحركها[1] يدعو بها ويقول :" **لَهِـيَ أشـد عـلى الشيطان من الحديد** " [2] يعني: **السَّبَابَةَ** .

ثم كان ﷺ يقرأ في كل ركعتين التحية ، يقـول: "**التحيـات لله ، والـصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عبـاد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله** " .

وكان يصلي على نفسه في التشهد الأول وغيره ، وشرع ذلك لأمته . وكـان ﷺ يدعو في صلاته بأدعية متنوعة [3] .

ثم كان ﷺ يسلم عن يمينه : " **السلام عليكم ورحمة الله** " ، وعن يساره كذلك وكان أحيانًا يزيد في التسليمة الأولى: " **وبركاته** "] ا. هـ .

" **واعلم : أن للصلاة أركانًا وواجباتٍ وسنناً** [4] ، **وروحها النية والإخلاص والخشوع وحضور القلب، فإن الصلاة تشتمل على أذكار ومناجاة وأفعال ، ومع**

---

(1) تحريك السبابة في التشهد لا زلت في ريب منه ، فقد تفـرد زائـدة بـن قدامـة (**رحمه الله**) بذكره كما هو معروف عند أهل العلم ، فلتحرر المسألة . وانظر "**طليعة سمط اللآلي**" لشيخنا العلامة أبي إسحاق الحويني (ص126 – 128) .

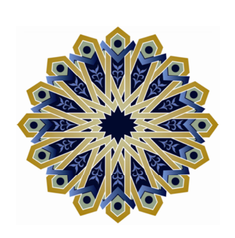
(2) رواه الإمام أحمد (6000) ، والطبراني في "**الدعاء**" ص205 ط/ دار الكتـب العلميـة ، والبزار كما في "**المجمع**" (2/ 140) بسند حسن ؛ فيه كثير بن زيد وهو صدوق يخطئ كـما في "**التقريب**" (5611) ، وصححه أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله . ومن الأخطاء التـي يقـع فيها بعض المصلين الإشارة بالسبابتين أثناء التشهد ، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً يدعو بإصـبعيه فقال : "**أَحِّدْ ، أَحِّدْ** " ، وأشار بالسبابة . ومعنى قول النبي ﷺ: " **أَحِّد أَحِّد** " أي: أشر بأصبع واحدة وهي المسبحة ؛ فإن الذي تدعوه واحد . قال الزمخشري: " **أراد: وحد ، فقلبت الـواو همزة ، كما قيل: أحد وإحدى وآحاد . فقد تقلب بهذا القلب مضمومة ومكسورة ومفتوحـة** " ا.هـ من "**فيض القدير**" (1/ 237) ط/ مكتبة مصر .

(3) روى الإمام أبو يعلى (رحمه الله) في "**مـسنده**" (ج10/ رقـم6029) بـسند حـسن مـن حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) كان إذا أراد أن يسجد كبر ثـم يـسجد ، وإذا قام من القعدة كبر ثم قام ولم أره في "**مجمع الزوائد**" وهو على شرطه ، وأورده الشيخ الألبـاني (**رحمه الله**) في "**الصحيحة**" (604) وجود إسناده ، وقال:" **الحديث نص صريح في أن السنة التكبير ثم السجود ، وأنه يكبر وهو قاعد ثم ينهض . ففيه إبطال لما يفعله بعض المقلدين مـن مد التكبير من القعود إلى القيام!**" انتهى .

(4) وراجع تفصيل ذلك في كتب الفقه ، وأرشح لك في البداية كتاب "**الوجيز في فقه الـسنة والكتاب العزيز**" لشيخنا العلامة عبد العظيم بن بدوي الخلفي ــحفظه اللهــ .

عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة؛ لأن النطق إذا لم يُعْرِبْ عما في الضمير كان بمنزلة الهذيان ، وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال؛ لأنـه إذا كان المقصود من القيام : الخدمة، ومن الركوع والسجود: الذل والتعظيم، ولم يكن القلب حاضراً، لم يحصل المقصود؛ فان الفعل متى خرج عن مقـصوده بقـي صورة لا اعتبار بها ، قـال الله تعـالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج:37].

والمقصود أن الواصل إلى الله سبحانه وتعالى هو الوصف الذي استولى عـلى القلب حتى حمل على امتثال الأوامر المطلوبة، فلا بد من حضور القلب في الصلاة، ولكن سامح الشارع في غفلة تطرأ ؛ لأن حضور القلب في أولها ينسحب حكمـه على باقيها " [1] .



(1) نقلاً من **"مختصر منهاج القاصدين"** للإمام ابن قدامة المقدسي رحمـه الله ، وأوصـيك يـا سالك طريق الهداية أن تظفر بهذا الكتاب ، فإنه نافع جداً .

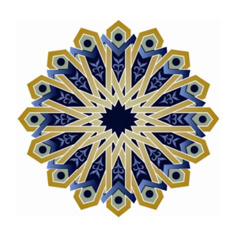
باب
آداب الإمامة والقدوة

ينبغي للإمام أن يخفف الصلاة ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: **"ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم صلاة من النبي ﷺ ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تُفتن أمه "** [1] .

ولا يكبر ما لم يفرغ المؤذن من الإقامة ، وما لم تستو الصفوف ، ويرفع الإمام صوته بالتكبيرات ، ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه ، وينوي الإمام الإمامة لينال الفضل ، فإذا لم ينو صحت صلاة القوم إذا نووا الاقتداء به ونالوا فضل القدوة.

ويُسرُّ الإمام بدعاء الاستفتاح والتعوذ والبسملة كالمنفرد ، ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأولتي المغرب والعشاء ، وكذلك المنفرد ، ويجهر بقوله: "آمين" في الجهرية ، وكذلك المأموم ، ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام ؛ فقد قال خير الأنام ﷺ: **" إذا أمن الإمام فأمنوا؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه "** [2] .

ولا يقف المأموم وحده بل يدخل في الصف ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ولا ينبغي للمأموم أن يتقدم على الإمام في أفعاله أو يساويه ، بل ينبغي أن يتأخر عنه ، ولا يهوي للركوع إلا إذا انتهى الإمام إلى حد الركوع ، ولا يهوى للسجود ما لم تصل جبهة الإمام إلى الأرض.



(1) أخرجه البخاري (708) واللفظ له ، ومسلم (469/ 190) .
(2) أخرجه البخاري (780، 6402) ، ومسلم (410) .

باب
آداب الجمعة

اعلم أن الجمعة عيد المؤمنين ، وهو يوم شريف خص الله عز وجل به هذه الأمة ، وفيه **"ساعة مبهمة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها حاجة إلا أعطاه إياها ما لم يسأل حرامًا "** [1] .

فاستعد لها من يوم الخميس بتنظيف الثياب، وانو صوم يوم الجمعة لكن مع الخميس أو السبت ؛ إذ جاء في إفرادها نهي [2] .

فإذا طلع عليك الصبح فاغتسل؛ فإن **" غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم "** [3] ، ثم تزين بالثياب البيض فإنها أحب الثياب إلى الله تعالى ، واستعمل من الطيب أطيب ما عندك ، وبالغ في تنظيف بدنك بالحلق والقص والسواك وسائر أنواع النظافة وتطييب الرائحة.

(1) أخرجه الإمام مالك في **"الموطإ"** (1/ 108/ 15) ، والإمام أحمد في **"المسند"** (2/ 230، 255-256، 280، 284، 457، 469، 481، 486، 498) ، والبخاري في **"صحيحه"** (935، 5294، 6400) ، ومسلم في **"صحيحه"** (852) ، وابن ماجه (1137) وغيرهم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) .راجع الجزءَ الذي حققه ونشره شيخُنا أبو إسحاق الحويني الأثري (**حفظه الله وأمتع المسلمين بطول حياته**) الموسومَ بـ**"الجزء فيه مِن الفوائد المنتقاة الحسان العوالي من حديث أبي عمرو السمرقندي عن شيوخه"** رقم (44) ص137-140 . ذلك ، وقد اختُلف في هذه الساعة على أكثر من أربعين قولاً ، أمثلها عندي _والله أعلم_ أنها مخفية في جميع اليوم كما أُخفيت ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان . والحكمة من ذلك -كما في **"فتح الباري"** - حث العباد على الاجتهاد في الطلب ، واستيعاب الوقت بالعبادة ، بخلاف ما لو تحقق الأمر في شيء من ذلك لكان مقتضيًا الاقتصار عليه ، وإهمال ما عداه .راجع **"فتح الباري شرح صحيح البخاري"** [ج2- كتاب الجمعة-باب الساعة التي في يوم الجمعة] ، و**"الترغيب والترهيب"** للحافظ المنذري (قدس الله روحه ونور ضريحه" [**كتاب الجمعة-الترغيب في صلاة الجمعة والسعي إليها، وما جاء في فضل يومها وساعتها**] ، و**"زاد المعاد في هدي خير العباد"** للعلامة الرباني ابن قيم الجوزية (رحمه الله) [ج1ص388-397] ط/ مؤسسة الرسالة ، ومكتبة المنار الإسلامية .

(2) راجع **"صحيح البخاري"** (1984، 1985، 1986) [**كتاب الصوم-باب صوم يوم الجمعة**] ، و**"صحيح مسلم"** (1143، 1144) [**كتاب الصيام-باب كراهة صيام يوم الجمعة منفردًا**] .

(3) أخرجه الإمام مالك في **"الموطإ"** (1/ 102/ 4)، ومن طريقه : البخاري (879، 895)، ومسلم (846) .

ثم بكِّر إلى الجامع ، واسع إليه على الهينة والتؤدة والسكينة ؛ فقد قال ﷺ : " **من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر** "(1) .

ثم إذا دخلت الجامع فاطلب الصف الأول ، فإذا اجتمع الناس فلا تتخط رقابهم ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون ، واجلس بقرب حائط أو أسطوانة حتى لا يمروا بين يديك ، ولا تقعد حتى تصلي التحية ، ولا تتركها وإن كان الإمام يخطب ، وأكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا اليوم خاصة.

ومتى خرج الإمام فاقطع الصلاة والكلام واشتغل بجواب المؤذن ، ثم استماع الخطبة والاتعاظ بها ، ودع الكلام رأسًا في الخطبة ففي الخبر: " **إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت** "(2) **أي: لأن قوله**: أنصت كلام ، فينبغي أن ينهى غيره بالإشارة لا باللفظ .

ثم اقتدِ بالإمام كما سبق .

ثم صلِّ بعد الجمعة ركعتين أو أربعًا ، وكن حسن المراقبة للساعة الشريفة ، فإنها مبهمة في جميع اليوم ، ولا تحضر في الجامع مجالس الحِلَق ولا مجالس القُصّاص ، بل مجلس العلم النافع وهو الذي يزيد في خوفك من الله تعالى وينقص من رغبتك في الدنيا ، فكل علم لا يدعوك من الدنيا إلى الآخرة فالجهل أعود عليك منه ، فاستعذ بالله من علم لا ينفع.

---

(1) أخرجه الإمام مالك في "**الموطإ**" (1/ 101/ 1) ، ومن طريقه : البخاري (881) ، ومسلم (850) .

(2) أخرجه البخاري (934) ، ومسلم (851) . ومعنى: لغوت: صارت جمعتك ظهرًا ، فقد روى أبو داود (347) ، وابن خزيمة (1810) بسند حسن من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما مرفوعًا : " **من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب امرأته إن كان لها ولبس من صالح ثيابه ، ثم لم يتخط رقاب الناس ، ولم يلغ عند الموعظة؛ كان كفارة لما بينهما ، ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهرًا** " .

وأكثر من الدعاء عند طلوع الشمس ، وعند الزوال ، وعند الغروب ، وعند الإقامة ، وعند صعود الخطيب المنبر ، وعند قيام الناس إلى الصلاة ، فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الأوقات .

واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وإن قلَّ ، فتجمع بين الصلاة والصيام والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف والرباط ، واجعل هذا اليوم من الأسبوع خاصة لآخرتك ، فعساه أن يكون كفارة لبقية الأسبوع.

واعلم أن النبي ﷺ قد قال: **" خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة : من عاد مريضًا ، وشهد جنازة ، وصام يومًا ، وراح إلى الجمعة ، وأعتق رقبة "** (1) .

وقال أيضًا : **" الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر "** (2) .

وقال: **" لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام ؛ إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى "** (3) .

وقال: **"من غَسَلَ** (4) **يوم الجمعة واغتسل ، وبكر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ ؛ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها "** (5) .

---

(1) أخرجه أبو يعلى (2/ 1044) ، وصححه ابن حبان (2771) ، ورمز السيوطي لصحته في **"الجامع الصغير"** (3962) ، وانظر **"المجمع"** (2/ 169) ، و**"الصحيحة"** (1023) .

(2) أخرجه مسلم (233/ 16) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(3) أخرجه البخاري (883، 910) من حديث سلمان الفارسي ﷺ ، ورواه ابن خزيمة (1803) بنحوه من حديث أبي هريرة ﷺ، وزاد : **"غفر له من الجمعة إلى الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام "**، وأصله عند مسلم (857) .

(4) قوله : **" غسل "** بالتخفيف – **معناه** : غَسَلَ رأسه، **" واغتسل "** أي: في بقية جسده، وخص الرأس بالذكر؛ لما كان من عادة العرب من توفير شعورهم وتعاهدهم إياها بالدهن وغيره ، فتحتاج إلى مزيد من التعاهد في الغسل ، فلذا خصها بالذكر ، والتنصيص بالتخصيص دليل العناية .

(4) أخرجه الإمام أحمد (4/ 9–10، 104) ، وأبو داود (345) ، والترمذي (496) وحسنه ، والنسائي (1381، 1384، 1398) ،وابن ماجة (1087)، والدارمي (1547)، وصححه ابن خزيمة (1758، 1767) ، وابن حبان (2781)،والحاكم .

وقال : " **تحشر الأيام على هيئتها ، وتحشر الجمعة زهراء منيرة ، أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى خدرها ، تضيء لهم يمشون في ضوئها ، ألوانهم كالثلج بياضًا ، وريحهم كالمسك ، يخوضون في جبال الكافور ، ينظر إليهم الثقلان لا يطرقون تعجبًا حتى يدخلون الجنة ، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون** " [1] .

وعن أنس بن مالك ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : " **أتاني جبريل بمثل المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء ، قلت: يا جبريل! ما هذه ؟ قال: هذه الجمعة ، جعلها الله عيدًا لك ولأمتك ، فأنتم قبل اليهود والنصارى ، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه . قلت: ما هذه النكتة السوداء ؟**

قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة ، ونحن ندعوه عندنا المزيد . قلت: ما يوم المزيد؟

قال: إن الله جعل في الجنة واديًا أفيح [2] **، وجعل فيه كثبانًا من المسك الأبيض ، فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء وكراسي من در للشهداء وينزلن الحور العين من الغرف فحمدوا الله ومجدوه .**

قال: ثم يقول الله: اكسوا عبادي ؛ فيكسون . ويقول: أطعموا عبادي ؛ فيطعمون . ويقول: اسقوا عبادي ؛ فيسقون . ويقول: طيبوا عبادي ؛ فيطيبون . ثم يقول: ماذا تريدون ؟ فيقولون: ربنا رضوانك .

قال: يقول: رضيت عنكم . ثم يأمرهم فينطلقون ، وتصعد الحور العين الغرف وهي من زمردة خضراء ، ومن ياقوتة حمراء " [3] .

---

(1) أخرجه الطبراني في "**الكبير**" كما في "المجمع (2/ 164-165) ، وابن خزيمة (1730) ، والحاكم (1027) وصحح إسناده ، وقال الحافظ المنذري رحمه الله : "**إسناده حسن ، وفي متنه غرابة**" ، وجود إسناده الألباني في "**الصحيحة**" (706) .

(2) قوله : "**واديًا أفيح**" يعني : **واسعًا** .

(3) أخرجه أبو يعلى (7/ 4228) واللفظ له وقال المنذري: "**رواته رواة الصحيح**" ، والطبراني في "**الأوسط**" بنحوه وجود إسناده الإمام المنذري رحمه الله ، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله ، وراجع "**مجمع الزوائد**" (2/ 163-164)، (10/ 421-422) .

باب
آداب الصيام

لا ينبغي أن تقتصر على صوم رمضان فتترك التجارة بالنوافل ، وكسب الدرجات العالية في الفراديس ، فتتحسر إذا نظرت إلى منازل الصائمين ، كما تنظر إلى الكواكب الدرية وهم في أعلى عليين .

والأيام الفاضلة التي شهدت الأخبار بشرفها وفضلها وبجزالة الثواب في صيامها:

يوم عرفة لغير الحاج ، ويوم عاشوراء ، والعشر الأول من ذي الحجة ، والمحرم ، وشعبان ، وهذه في السنة .

وأما في الشهر: فأول الشهر وأوسطه وآخره ، والأيام البيض وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر .

وأما في الأسبوع فيوم الاثنين والخميس .

واعلم أن " **أحب الصيام إلى الله صيام داود ﷺ ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً** " (1) .

ولا تظن إذا صمت أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والوقاع فقط ، فقد قال ﷺ : " **رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش** " (2) ، بل تمام الصوم بكف الجوارح كلها عما يكرهه الله تعالى ، فينبغي أن تحفظ العين عن النظر إلى المكاره ، واللسان عن النطق بما لا يعنيك ، والأذن عن الاستماع إلى ما حرمه الله كالغيبة ؛ فإن المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين، وكذلك تكف جميع الجوارح كما تكف البطن والفرج؛ فقد قال ﷺ : " **الصيام جُنَّة ، فإذا كان**

---

(1) البخاري (1131، 3420) ، ومسلم (1159/ 190) ، والإمام أحمد (6491، 6921) ، وأبو داود (2448) ، والنسائي (2344) ، وابن ماجة (1712) ، والدارمي (1752) .

(2) رواه الإمام أحمد (2/ 373، 441) ، وابن ماجة (1690) ، وصححه ابن خزيمة (1997) ، والحاكم (1571) ، وله شاهد من حديث ابن عمر ب ، انظره في "**مجمع الزوائد**" (3/ 202) ، وراجع "**فيض القدير**" (4/ 21) .

أحدكم صائمًا فلا يرفث ولا يجهل . فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم . إني صائم " [1] .

وقال النبي ﷺ : **" من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه "** [2] .

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: **" إذا صمت فليصم سمعك ، وبصرك ، ولسانك عن الكذب والمأثم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء "** [3] .

أهلُ الخصوصِ من الصُّوامِ صومهمُ — صون اللسانِ عن البهتانِ والكذبِ

والعارفون وأهلُ الأنسِ صومهمُ — صون القلوبِ عن الأغيارِ والحُجُبِ

ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال ، ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله كل ليلة لأجل صيامك ، فلا فرق إذا استوفيت ما تعتاد أن تأكله دفعتين في دفعة واحدة ، وإنما المقصود بالصيام كسر شهوتك وتضعيف قوتك ؛ لتقوى بها على التقوى .

فإذا أكلت عشية ما تداركت به ما فاتك ضحوة فلا فائدة في صومك ، وقد ثقلت عليك معدتك وما وعاء يملأ أبغض إلى الله تعالى من بطن ملئ من حلال ، فكيف إذا ملئ من حرام .

واعلم أن " للصوم تأثيرًا عجيبًا في حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنة ، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها ، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها .

---

(1) رواه الإمام مالك في **"الموطإ"** (1/ 310/ 57) ، والبخاري (1894، 1904) ، ومسلم (1151) .

(2) رواه البخاري (1903، 6057) ، وأحمد (2/ 452-453، 505) ، وأبو داود (2362)، والترمذي (707) ، وابن ماجة 1689) .

(3) رواه ابن أبي شيبة في **"المصنف"** ، ومن طريقه أخرجه ابن حزم في **"المحلى"** (6/ 208-209) ط/ دار التراث .

فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات ، فهو من أكبر العون على التقوى ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:183] " (1) .

فإذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت ؛ فإنه أساس العبادات ، ومفتاح القربات ، قال رسول الله ﷺ : " **كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي ، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولَخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك** " (2) .

وقال ﷺ : " **إن في الجنة بابًا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد** " (3) .

وقال رسول الله ﷺ : " **الصيام جُنَّة من النار ، كَجُنَّة أحدكم من القتال ، وصيامٌ حسنٌ ثلاثة أيام من كل شهر** " (4) .

وقال ﷺ : " **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه** " قال : " **فيُشَفَّعَان** " (5) .

---

(1) "**زاد المعاد في هدي خير العباد**" للعالم الرباني ابن قيم الجوزية أثابه الله ، وبل بالرحمة ثراه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ؛ إن ربي لسميع الدعاء .
(2) رواه البخاري (1904) ، ومسلم (1151/ 164) واللفظ له .
(3) رواه البخاري (1896، 3257) ، ومسلم (1152) واللفظ له .
(4) رواه الإمام أحمد (4/ 22) ، وصححه ابن خزيمة (1891) . ورواه مختصرًا النسائي (2230، 2231) ، وابن ماجة (1639)
(5) رواه الإمام أحمد (6626) ، والحاكم وصححه ، والطبراني في "**الكبير**" وقال المنذري: "**رجاله محتج بهم في الصحيح ، ورواه ابن أبي الدنيا في "كتاب الجوع" وغيره بسند حسن**"اهـ . والحديث صححه أيضًا أبو الأشبال والألباني رحمهما الله . وراجع "**المجمع**" (3/ 181-10/ 381) .

وقال ﷺ : **" ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا "** [1] .

وقال ﷺ : **" من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض "** [2] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : **قلت** : يا رسول الله مرْنِي بعمل ، قال : **" عليك بالصوم فإنه لا عِدْلَ له "** ، **قلت** : يا رسول الله مرني بعمل ، قال : **" عليك بالصوم فإنه لا عدل له "** [3] .

واعلم أن للصوم سننًا ، منها : السحور ويستحب تأخيره ، وتعجيل الفطر ، ويستحب أن يفطر الصائم على رطبات، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من الماء، ولا ينبغي أن يغفل عن هذا الدعاء عند فطره : **"ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله "** [4] .

وبعد :

فهذا القدر من شرح الطاعات يكفيك من بداية الهداية ، فإذا احتجت إلى الزكاة والحج أو إلى مزيد شرح الصلاة والصيام فاطلب ذلك في مظانه من كتب القوم .

---

(1) رواه البخاري (2840) ، ومسلم (1153) ، وهو مخرج في **"إتحاف اللبيب"** (300) .

(2) رواه الترمذي (1624) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه وحسنه ، وله شاهد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وغيره . راجع **"الصحيحة"** (563) .

(3) رواه الإمام أحمد (5/ 248-255،249، 258) ، والنسائي (2220، 2221، 2222، 2223) مختصرًا ومطولاً، وابن خزيمة (1893) ، والحاكم (1533) وصحح إسناده ، وصححه أيضًا الحافظ ابن حجر رحمه الله في **"الفتح"** (4/ 129)، واللفظ للنسائي في إحدى رواياته . وانظر **"المجمع"** (3/ 181-182) .

(4) رواه أبو داود (2357) ، والنسائي في **"عمل اليوم والليلة"** (301) ، وعنه ابن السني في **"عمل اليوم والليلة"** (478) ، والحاكم (1536) وصححه ، ووافقه الذهبي ، ورواه أيضًا الدارقطني وقال : **"إسناده حسن"** ، وقال الألباني: **"وهو كما قال"** . انظر **"الإرواء"**(920) .


القسم الثاني
القول في
اجتناب المعاصي

توطئــــة

اعلم أن للدين شطرين:

أحدهما: ترك المناهي .

والآخر: فعل الطاعات .

وترك المناهي هو الأشد ؛ فإن الطاعات يقدر عليها كل أحد ، وترك الشهوات لا يقدر عليه إلا الصديقون ، فلذلك قال رسول الله ﷺ : " **المهاجر من هجر السوء** " (1) ، "**والمجاهد من جاهد نفسه**" (2) .

واعلم أنك إنما تعصي الله بجوارحك ، وهي نعمة من الله عليك وأمانة لديك ، فاستعانتك بنعمة الله على معصيته غاية الكفران ، وخيانتك في أمانة استودعها الله غاية الطغيان ، فأعضاؤك رعاياك فانظر كيف ترعاها ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك في عرصات القيامة بلسان طلق ذلق ، تفضحك به على رؤوس الخلائق ، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور:24]، وقال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس:65].

فاحفظ يا مسكين جميع بدنك من المعاصي ، وخصوصاً أعضاءك السبعة فإن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم .

ولا يتعين لتلك الأبواب إلا من عصا الله تعالى بهذه الأعضاء السبعة وهي :

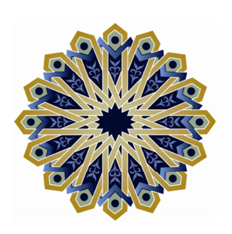
* العـين .
* والأذن .

---

(1) صحيح: رواه الإمام أحمد (3/ 154) ، وأبو يعلى (4187) ، وصححه ابن حبان (510) ، وقال الحاكم (25) : "**على شرط مسلم**" ، ووافقه الذهبي ، وقال الألباني في "**الصحيحة**" : (549): "**وهو كما قالا**" . وانظر "**المجمع**" (1/ 54) .

(2) رواه الإمام أحمد (6/ 21، 22) ، والترمذي (1621) وقال: "**حسن صحيح**" ، وابن حبان ، وراجع "**فيض القدير**" (6/ 346-347) ، و"**الصحيحة**" (549)

- ❄ واللسان
- ❄ والبطـن .
- ❄ والفرج .
- ❄ واليـد .
- ❄ والرجل .



آداب العيـــن

أما العين:

فإنها خلقت لك لتهتدي بها في الظلمات ، وتستعين بها في الحاجات ، وتنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض والسماوات ، وتعتبر بما فيها من الآيات .

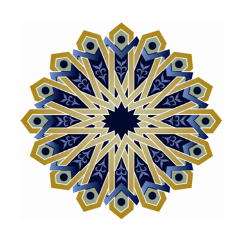
فاحفظها عن أربع:

1 - أن تنظر بها إلى غير محرم .

2 - أو إلى صورة مليحة بشهوة نفس .

3 - أو تنظر بها إلى مسلم بعين الاحتقار .

4 - أو تطلع بها على عيب مسلم .



آداب الأذن

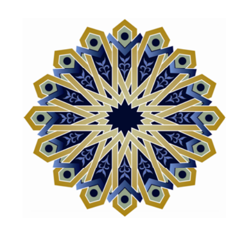
وأما الأذن: فاحفظها عن أن تصغي بها إلى البدعة أو الغيبة أو الفحش أو الخوض في الباطل أو ذكر مساوئ الناس ؛ فإنما خلقت لك لتسمع بها كلام الله تعالى ، وسنة رسول الله ﷺ ، وحكمة أوليائه ، وتتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار رب العالمين .

فإذا أصغيت بها إلى شيء من المكاره ؛ صار ما كان لك عليك ، وانقلب ما كان سبب فوزك سبب هلاكك ، وهذا غاية الخسران .

ولا تظنن أن الإثم يختص به القائل دون المستمع ؛ فقد قال تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء:140] أي: إن قعدتم معهم .

فَسَمْعَكَ صُنْ عن سماع القبيح ... كصون اللسانِ عن النطق بهْ

فإنك عند سماعِ القبيح ... شريكٌ لقائلِهِ فانتبهْ



آداب اللســـان

وأما اللسان: فإنما خلق لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه ، وترشدن به خلق الله تعالى إلى طريقه ، وتظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك ، فإذا استعملته في غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه ، وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق ، فـ" **أكثر خطايا ابن آدم في لسانه** " [1] ، " **وهل يكب الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟** "[2] كذا قال رسول الله ﷺ .

فاستظهر على لسانك بغاية قوتك حتى لا يكبك في قعر جهنم ، ففي الخبر:

" **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب** " [3] .

ولله در من قال:

احفظ لسانك أيها الإنسان	**لا يلدغنك إنه ثعبان**
كم في المقابر من قتيل لسانه	**قد كان هاب لقاءه الشجعان**

فاحفظ لسانك من ثمانية:



(1) أخرجه الطبراني في "**الكبير**" وقال الحافظ المنذري:"**رواته رواة الصحيح.ورواه أبو الشيخ في "الثواب"** ، والبيهقي بإسناد حسن" ، وحسنه كذلك الحافظ العراقي في "**المغني**" . وانظر "المجمع" (10/ 299-300) ، و"الصحيحة" (534) .

(2) أخرجه الإمام أحمد (5/ 231) ، والترمذي (2616) وقال:"**حسن صحيح**" ، وابن ماجة (3973) ، وله شواهد . قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في "**جامع العلوم والحكم**" : "**المراد بحصائد الألسنة : جزاء الكلام المحرم وعقوباته ؛ فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع ، فمن زرع خيرًا من قول أو عمل حصد الكرامة ، ومن زرع شرًا من قول أو عمل حصد غدًا الندامة** " اهـ .

(3) أخرجه البخاري (6477) ، ومسلم (2988) واللفظ له .

الأول
الكـــذب

فاحفظ منه لسانك في الجِد والهزل ، ولا تعود لسانك الكذب هزلاً فيتداعى إلى الجد ، والكذب من أمهات الكبائر ، ثم إنك إذا عُرفت بذلك سقطت عدالتك والثقة بقولك ، وتزدريك الأعين وتحتقرك، وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فانظر إلى كذب غيرك، وإلى نفرة نفسك عنه ، واستحقارك لصاحبه واستقباحك له .

وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك ، فإنك لا ترى قبح عيوبك من نفسك بل من غيرك ، فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لا محالة ، فلا ترض لنفسك ذلك .

وقد قال النبي ﷺ: " **إياكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور . وإن الفجور يهدي إلى النار . وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا** " [1] .

ولله در من قال:

لا يكذب المرء إلا من مهانته — أو فِعْلِهِ السوءَ أو مِن قلةِ الأدبِ
لَبَعْضُ جيفة كلبٍ خير رائحة — من كِذبة المرء في جِدٍّ وفي لعبِ

فإياك والكذب ؛ فإنه مَهْواة ، وعليك بالصدق ؛ فإنه منجاة :

عليك بالصدق ولو أنه — أحرقك الصدق بنار الوعيدْ
وابغ رضا المولى فأغبى الورى — مَن أسخط المولى وأرضى العبيدْ



---

(1) أخرجه البخاري (6094) ، وفي "**الأدب المفرد**" (386) ، ومسلم (2607) ، وأحمد (3638، 4108) ، وأبو داود (4989) ، والترمذي (1971) ، والنسائي في جزء فيه "**مجلسان من إملاءه**" (**رقم5 –تحقيق أبي إسحاق الحويني**) ، وأبو يعلى (5138) ، وابن حبان (272، 273، 274) .

الثاني

الخلف في الوعد

فإياك أن تعد بشيء ولا تفي به ، بل ينبغي أن يكون إحسانك إلى الناس فعلاً بلا قول ، فإن اضطررت إلى الوعد فإياك أن تخلف إلا لعجز أو ضرورة ؛ فإن ذلك من أمارات النفاق ، وخبائث الأخلاق .

عن عبد الله بن عمرو بن العاصي[1] رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **" أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر "** [2] .

وقال بعضهم:

لا كَلَّف الله نفسًا فوق طاقتها ... ولا تجودُ يدٌ إلا بما تجدُ

فلا تَعِدْ عِدَةً إلا وَفَّيْتَ بها ... واحذرْ خلافَ مقالٍ للذي تَعِدُ

وقال آخر:

إذا قلتَ في شيء: نعم فَأَتِمَّهُ ... فإن نَعَمْ دَيْنٌ على الحُرِّ واجبُ

وإلا فقل: لا ؛ تسترحْ وتُرِح بها ... لئلا يقولَ الناسُ: إنك كاذبُ

وقال ثالث:

لئن جمعت الآفات فالبخل شرها ... وشر مِن البخل المواعيد والمطلُ

ولا خير في وعد إذا كان كاذبًا ... ولا خير في قول إذا لم يكن فعلُ



(1) **العاصي** : المشهور في استعمال المحدثين أنه **(العاص)** بالصاد من غير ياء بعدها ، وهي لغة قليلة . والصحيح : **(العاصي)** بالياء ، وكذا حذيفة بن اليماني ، وعبد الرحمن بن أبي الموالي، وشداد بن الهادي. والمشهور للمحدثين حذف الياء ، والصحيح إثباتها . أفاده الإمام النووي رحمه الله في **"شرح صحيح مسلم"** (12/ 144) .

(2) رواه البخاري (2459، 3178) ، ومسلم (58) ، وأحمد (6768، 6864) ، وأبو داود (4688) ، والترمذي (2632) ، والنسائي (5020) ، وابن حبان (254، 255) .

الثالث

الغِيبـــة

فاحفظ لسانك عن الغِيبة ، والغيبة من كبائر الذنوب ، وإثمها عظيم ، وخطرها جسيم ، وقد سماها الله (**عز وجل**) في كتابه مكرًا ، فقال (**سبحانه**) : ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ [يوسف:31] .

ومعنى الغيبة: أن تذكر إنساناً بما يكرهه لو سمعه ، فأنت مغتاب ظالم وإن كنت صادقاً .

وقد روى الإمام أحمد (**رحمه الله**) في "**مسنده**" (2/ 384، 386) ، ومسلم في "**صحيحه**" (2589) ، وأبو داود في "**سننه**" (4874) ، والترمذي في "**جامعه**" (1934) ، والدارمي في "**مسنده**" (2714) ، وأبو يعلى في "مسنده" (6532) ، وابن حبان في "**صحيحه**" (5758، 5759 -إحسان) وغيرهم من حديث أبي هريرة (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: " **أتدرون ما الغِيبة ؟** " .

قالوا : " **الله ورسوله أعلم** " .

قال: "**ذِكْرُكَ أخاك بما يكره** " .

قيل : أفرأيتَ إن كان في أخي ما أقول ؟

قال: " **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته . وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّهُ** " .

وقد روى الحافظ ابن أبي الدنيا (**رحمه الله**) في آخر كتاب "**الصمت وآداب اللسان**" عن التابعي الجليل محمد بن سيرين (**رحمه الله**) أنه قال:

" **إذا قلت لأخيك مِن خلفه ما فيه مما يكره فهي الغِيبة . وإذا قلت ما ليس فيه فهو البهتان . وظلم لأخيك أن تذكره بأقبح ما تعلم منه وتنسى أحسنه** " .

احفظ لسانك أيها الإنسانُ لا يَلْدَغَنَّك إنه ثعبانُ

كم في المقابر مِن قتيل لسانِهِ كانت تهاب لقاءَه الشجعانُ

وإياك وغيبة القراء المرائين ، وهي : أن تفهم المقصود من غير تصريح ، فتقول: أصلحه الله فقد ساءني وغمني ما جرى عليه فنسأل الله تعالى أن يصلحنا وإياه! . فإن هذا جمع بين خبيثين ، أحدهما: الغيبة إذا حصل به التفهم ، والآخر: تزكية النفس والثناء عليها بالتجريح لغيرك والصلاح لنفسك ، ولكن إن كان مقصودك من قولك: أصلحه الله الدعاء ، فادع له في السر ، وإن اغتممت بسببه، فعلامته أنك لا تريد فضيحته وإظهار عيبه، وفي إظهارك الغم بعيبه إظهار تعييبه، ويكفيك زاجراً عن الغيبة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحُجُرات:12] ؛ فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة ، فما أجدرك أن تحترز منها .

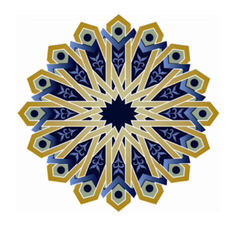
ويمنعك عن الغيبة أمر لو تفكرت فيه، وهو: أن تنظر في نفسك ، هل فيك عيب ظاهر أو باطن؟

وهل أنت مقارف معصية سرًا أو جهرًا ؟ .

فإذا عرفت ذلك من نفسك فاعلم أن عجزه عن التنزه عما نسبته إليه كعجزك ، وعذره كعذرك ، وكما تكره أن تفتضح وتُذكر عيوبك فهو أيضًا يكرهه ، فإن سترته ستر الله عليك عيوبك ، وإن فضحته سلط الله عليك ألسنة حدادًا يمزقون عرضك في الدنيا ، ثم يفضحك الله في الآخرة على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، وإياك أن تظهر الشماتة لأخيك ، فيرحمه الله ويبتليك .

وإن نظرت إلى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص في دين ولا دنيا ، فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة ، ولا عيب أعظم من الحمق ، ولو أراد الله بك خيرًا لبصرك بعيوب نفسك ، فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك ، ثم إن كنت صادقًا في ظنك فاشكر الله – تعالى وتقدس– عليه ، ولا تفسده بثلب الناس والتمضمض بأعراضهم ، فإن ذلك من أعظم العيوب .

فإن عبت قوماً بالذي فيك مثلـه فكيف يعيب الناس من هو أعور
وإن عبت قوماً بالذي ليس فيهم فذلك عنـــد الله والنـــاس أكـبر



الرابع

المراء والجدال ومناقشة الناس في الكلام

فذلك فيه إيذاء للمخاطب وتجهيل له وطعن فيه ، وفيه ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم ، ثم هو مشوش للعيش ؛ فإنك لا تماري سفيهًا إلا ويؤذيك ، ولا تماري حليمًا إلا ويقليك ويحقد عليك ؛ وقد قال ﷺ : **" أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"** (1) .

ولا ينبغي أن يخدعك الشيطان ويقول لك : أظهر الحق ولا تداهن فيه ، فإن للشيطان دأبًا يستجر الحمقى إلى الشر في معرض الخير ، فلا تكن ضُحكةً للشيطان فيسخر منك ، فإظهار الحق حسنٌ مع من يقبله منك ، وذلك بطريق النصيحة في الخفية لا بطريق المماراة.

وللنصيحة صفة وهيئة ، ويُحتاج فيها إلى تلطف ، وإلا صارت فضيحة وكان فسادها أكثر من صلاحها. ولله در الإمام الشافعي – رحمه الله – حيث يقول : **" من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه "** .

وقال أيضاً :

تعمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعه
فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي ... فلا تجزع إذا لم تعط طاعه

ومن خالط متفقهة العصر غلب على طبعه المراء والجدال ، وعسر عليه الصمت ؛ إذ ألقى إليه علماء السوء أن ذلك هو الفضل ، والقدرة على المحاجة والمناقشة هو الذي يمتدح به ، ففر منهم فرارك من الأسد ، واعلم أن المراء سبب المقت عند الله وعند الخلق .

---

(1) أخرجه أبو داود (4800) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، وله شواهد انظرها إن شئت في "الترغيب والترهيب" [كتاب العلم–الترهيب من المراء والجدال] ، و"المجمع" (1/ 157) ، (8/ 23) ، و"الصحيحة" (273) .

الخامس
تزكية النفــس

فقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:32].

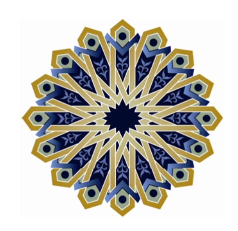
وقيل لبعض الحكماء: ما الصدق القبيح ؟!

فقال: **" ثناء المرء على نفسه "** .

فإياك أن تتعود ذلك ، واعلم أن ذلك ينقص من قدرك عند الناس ويوجب مقتك عند الله تعالى ، فإذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك ، فانظر إلى أقرانك إذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال كيف يستنكره قلبك عليهم ويستثقله طبعك ؟

وكيف تذمهم عليه إذا فارقتهم ؟!

فاعلم أنهم أيضًا في حال تزكيتك لنفسك يذمونك في قلوبهم ناجزًا ، وسيظهرونه بألسنتهم إذا فارقتهم.



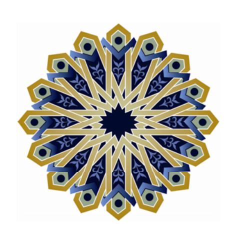
السادس

اللعـــن

فإياك أن تلعن شيئًا مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو إنسان بعينه ، ولا تقطع بشهادتك على أحد من أهل القبلة بشرك أو كفر أو نفاق ، فإن المطلع على السرائر هو الله تعالى ، فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى ، واعلم أنك يوم القيامة لا يقال لك: لِمَ تلعن فلانًا ولم سكت عنه ؟! .

بل لو لم تلعن إبليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذكره لم تُسأل عنه ولم تطالب به يوم القيامة ، وإذا لعنت أحدًا من خلق الله تعالى طُولبت به.

ولا تذم شيئًا مما خلق الله تعالى ، فقد كان النبي ﷺ لا يذم الطعام الرديء قط ، بل كان إذا اشتهى شيئًا أكله وإلا تركه[1] .



(1) أخرجه البخاري (5409) ، ومسلم (2064) ، وأحمد (2/ 474، 481) ، وأبو داود (3763) ، والترمذي (2031) ، وابن ماجة (3259) .

وفي رواية لمسلم: "**وإن لم يشتهه سكت**" أي عن عيبه .

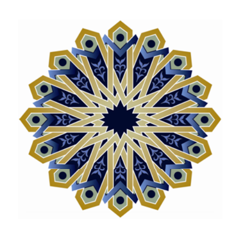
قال ابن بطال رحمه الله: "**هذا من حسن الأدب ؛ لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره ، وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب** " اهـ من "**فتح الباري**" .

السابع

الدعاء على الخلق

فاحفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى ، وإن ظلمك فكل أمره إلى الله تعالى ، وإن المظلوم ليدعو على ظالمه حتى يكافئه ، ثم يبقى للظالم فضل عنده يطالب به يوم القيامة .

وطول بعض الناس لسانه على الحجّاج بن يوسف ، فقال بعض السلف: **" إن الله لينتقم للحجاج ممن تعرض له بلسانه ، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه "**.



الثامن:

المزاح [1] والسخرية والاستهزاء بالناس

فاحفظ لسانك منه في الجد والهزل ، فإنه يريق ماء الوجه، ويسقط المهابة، ويستجر الوحشة، ويؤذي القلوب ، وهو مبدأ اللجاج والغضب والتصارم ، ويغرس الحقد في القلوب ، فلا تمازح أحدًا ، فإن مازحوك فلا تجبهم وأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وكن من الذين إذا مروا باللغو مروا كرامًا.

فهذه مجامع آفات اللسان ، ولا يعينك عليه إلا العزلة أو ملازمة الصمت إلا بقدر الضرورة ، فقد كان أبو بكر الصديق ﵁ يضع حجرًا في فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة . ورآه عمر بن الخطاب ﵁ وهو يمد لسانه ، فقال له عمر ﵁ : ما تصنع يا خليفة رسول الله ؟! . فقال أبو بكر

---

(1) قال الإمام ابن حبان (**رحمه الله**) في كتابه الماتع "**روضة العقلاء**" : المزاح على ضربين: فمزاح محمود ، ومزاح مذموم .

فأما المزاح المحمود ، فهو: الذي لا يشوبه ما كره الله (**عز وجل**) ، ولا يكون بإثم ، ولا قطيعة رحم .

وأما المزاح المذموم (**وهو المراد هنا**) فالذي يثير العداوة ، ويذهب البهاء ، ويقطع الصداقة ، ويجرئ الدنيء عليه ، ويحقد الشريف به .

ثم قال:

والمزاح في غير طاعة الله مسلبة للبهاء ، مقطعة للصداقة ، يورث الضغن ، وينبت الغل .

وإنما سُمي المزاح مزاحًا ؛ لأنه زاح عن الحق ، وكم من افتراق بين أخوين ، وهجران بين متآلفين ، كان أول ذلك المزاح .

وإن من المزاح ما يكون سببًا لتهييج المراء ، والواجب على العاقل اجتنابه ؛ لأن المراء مذموم في الأحوال كلها ، ولا يخلو المماري من أن يفوته أحد رجلين: إما رجل هو أعلم منه ، فكيف يجادل مَن هو دونه في العلم ؟!

أو يكون ذلك أعلم منه ، فكيف يماري مَن هو أعلم منه ؟!

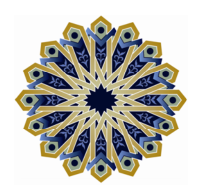
وقد سمعت حفص بن عمر البزار يقول : سمعت إسحاق بن الضيف يقول : سمعت جعفر بن عون يقول: سمعت مسعر بن كدام يقول لابنه كدام :

إني نحلتك يا كدام نصيحتي ... فاسمع مقال أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما ... لمجاور جارا ولا لشفيق
والجهل يزري بالفتى في قومه ... وعروقه في الناس أي عروق

(ﷺ) : إن هذا أوردني الموارد . إن رسول الله ﷺ قال: " **ليس شيء من الجسد إلا وهو يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته** " [1] .

فاحترز منه بجهدك فإنه أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة ، ولله در ابن مسعود ﷺ حين كان يخاطب لسانه قائلاً : " **يا لسان ! قل خيراً تغـنم، واسـكت عن شر تسلم، قبل أن تندم** " [2] .

وكان ﷺ يقول: " **والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض من شيء أحوج إلى طولِ سجنٍ من لسانٍ** " [3] .



(1) أخرجه أبو يعلى (1/ 5) ، وعنـه ابـن الـسني في "**عمـل اليـوم والليلـة** " (7) . وانظـر "**المجمع**" (10/ 302) ، و "**الصحيحة**" (535). ذلك ، ولقـد كنـت برهـة مـن الـزمن أعتقد صحة هذا الحديث برمته ، ثم تبين لي أن القدر المرفوع منه غير ثابت ، والفضل في ذلك يعود إلى فضيلة شيخنا العلامة أبي إسحاقَ الحويني (**حفظه الله وسدد خطـاه**) ، فـانظر - إن شئت غير مأمور - كتابه القيم "**النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة**" رَقْم (16) .

(2) أخرجه الطبراني في "**الكبير**" وقال الحافظ المنـذري:"رواتـه رواة الـصحيح.ورواه أبـو الشيخ في "**الثواب**" ، والبيهقي بإسناد حسن"، وحسنه كذلك الحافظ العراقي في "**المغنـي**" وانظر "**المجمع**" (10/ 299-300)، و"**الصحيحة**" (534) .

(3) أخرجه أبو نعيم في "**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**" [ج1 ص127 / رقـم (429) ط/ **مكتبة الإيمان**)] ، والطبراني في "**المعجم الكبير**" ، وصحح إسناده الحافظ المنذري رحمـه الله ، وقال الهيثمي(10/ 303): "**رواه الطبراني بأسانيد ورجالها ثقات**" .

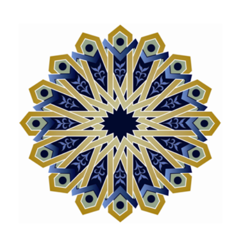
آداب البطـــن

وأما البطن: فاحفظه من تناول الحرام والشبهة ، واحرص على طلب الحلال، فإذا وجدته فاحرص على أن تقتصر منه على ما دون الـشبع ؛ فـإن الـشبع يقـسي القلب ، ويفسد الذهن ، ويبطل الحفظ ، ويثقل الأعضاء عـن العبـادة والعلـم ، ويقوي الشهوات ، وينصر جنود الشيطان .

والشبع من الحلال مبدأ كل شر ، فكيف من الحرام ؟!

وطلب الحلال فريضة على كل مسلم ، والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين [1] .

واعلم أن الحلال كثير ، وليس عليك أن تتيقن بواطن الأمور ، بـل عليـك أن تحترز مما تعلم أنه حرام ، أو تظن أنه حرام ظناً حصل من علامة نـاجزة مقرونـة بالمال ، أما المعلوم فظاهر ، وأما المظنون بعلامة فهو مال السلطان وعماله ، ومـال من لا كسب له إلا من النياحة أو بيع الخمر أو الربا أو المـزامير وغـير ذلـك مـن آلات اللهو المحرمة ، فإن من علمت أن أكثر ماله حرام قطعًا فما تأخذه من يده ـ وإن أمكن أن يكون حلالًا نادرًا ـ فهو حرام ؛ لأنه الغالب على الظن.

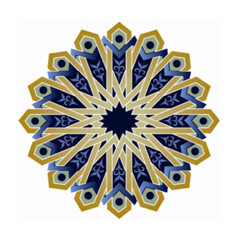


(1) **معرب** ، وهو : **الزبل** ، وهو: رجع الحمام والغنم ، ويقال أيضا : سرقين ، وسركين .

آداب الفــرج

وأما الفـرج: فاحفظه عن كل ما حرم الله تعالى ، وكن كما قال الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون:5،6] (1) .

ولا تصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر ، وحفـظ القلـب عـن التفكر ، وحفظ البطن عن الشبهة وعـن الـشبع ، فـإن هـذه محركـات للـشهوة ومغارسها.



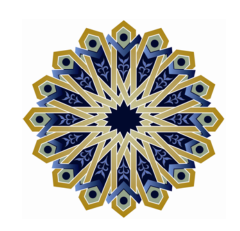
(1) واعلم أن الاستمناء حرام ، ولا يغرنك من يفتي بإباحته ، وقد استدل الإمـام الـشافعي _ **رحمه الله** _ ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بقوله تعالى ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ [المؤمنون:7]. انظر **"تفسير القرآن العظيم"** للعماد ابن كثير (**رحمه الله**) .

آداب اليدين

وأما اليدان: فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلمًا ، أو تتناول بهما مالاً حرامًا ، أو تؤذي بهما أحدًا من الخلق ، أو تخون بهما في أمانة أو وديعة ، أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به ؛ فإن القلم أحد اللسانين ، فاحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان عنه .

ومـا من كاتب إلا سيفنـى ويبقي الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بخطك غير شيء يسـرك في القيامــة أن تراه



آداب الرجلين

وأما الرجلان: فاحفظهما عن أن تمشي بهما إلى حرام ، أو تسعى بهما إلى باب سلطان ظالم ، فإن المشيَ إلى السلاطين الظلمة من غير ضرورة وإرهاق معصيةٌ كبيرة ، فإنه تواضع وإكرام لهم على ظلمهم.

وقد أمر الله تعالى بالإعراض عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَركَنوا إِلى الَّذينَ ظَلَموا فتَمَسَكُم النار ﴾[هود:113] ، وهو تكثير لسوادهم ، وإن كان ذلك لسبب طلب مالهم ؛ فهو سعى إلى حرام ، وقد قال ﷺ: **"من بدا جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان افتتن ، وما ازداد عبد من السلطان قربًا ؛ إلا ازداد من الله بعدًا "** [1] .

وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك بأعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك ، فلا تحرك شيئًا منها في معصية الله تعالى أصلاً ، واستعملها في طاعة الله تعالى.

واعلم أنك إن قصرت فعليك وباله، وإن شمرت فإليك تعود ثمرته، والله غني عنك وعن عملك، وإنما كل نفس بما كسبت رهينة ، وإياك أن تقول: إن الله كريم رحيم يغفر الذنوب للعصاة ؛ فإن هذه كلمة حق أريد بها باطل ، وصاحبها عاجز متواكل .

واعلم أن قولك هذا يضاهي قول من يريد أن يكون فقيهًا في علوم الدين من غير أن يدرس علمًا ، واشتغل بالبطالة وقال: إن الله كريم رحيم قادر على أن يفيض على قلبي من العلوم ما أفاضه على قلوب أنبيائه وأوليائه من غير

(1) رواه الإمام أحمد (2/ 371) بسند حسن . وانظر **"الترغيب والترهيب"** [كتاب القضاء وغيره-الترغيب في الامتناع عن الدخول على الظلمة" ، **"المجمع"** (5/ 246) . ومعنى الحديث كما في **"فيض القدير"**: **"من بدا جفا"** أي: من سكن بالبادية صار فيه جفاء الأعراب . **"ومن اتبع الصيد غفل"** أي: من شغل الصيد قلبه وألهاه صارت فيه غفلة . وقال محشيه: الظاهر أن المراد غفل عن الذكر والعبادة ، والظاهر أن الاكتساب بالاصطياد مفضول بالنسبة لبقية المباحات. **"ومن أتى أبواب السلطان افتتن . وما ازداد عبد من السلطان قربًا إلا ازداد من الله بعدًا"** وذلك لأن الداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تنعمهم فيزدري نعمة الله عليه، أو يهمل الإنكار عليهم مع وجوبه فيفسق ، فتضيق صدورهم بإظهار ظلمهم وبقبيح فعلهم ، وإما أن يطمع في دنياهم وذلك هو السحت .

جهد وتكرار وتعلم ! ، وهو كقول من يريد مالاً فترك الحراثة والتجارة والكسب وتعطل وقال: إن الله كريم رحيم وله خزائن السموات والأرض ، وهو قادر على أن يطلعني على كنز من كنوزه أستغني به عن الكسب فقد فعل ذلك لبعض عباده !، فأنت إذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمقتهما وسخرت منهما ، وإن كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقًا وحقًا ، فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر في الدين إذا طلبت المغفرة بغير سعى لها والله تعالى يقول: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[النجم:39]، ويقول: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الطور:16] ، ويقول: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[الانفطار:13،14].

فإذا لم تكن تترك السعي في طلب العلم والمال اعتمادًا على كرمه ؛ فكذلك لا تترك التزود للآخرة ولا تفتر ؛ فإن رب الدنيا والآخرة واحد ، وهو فيهما كريم رحيم ، وليس يزيد له كرم بطاعتك ، وإنما كرمه سبحانه وتعالى في أن ييسر لك طريق الوصول إلى الملك المقيم والنعيم الدائم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أيامًا قلائل ، وهذا نهاية الكرم.

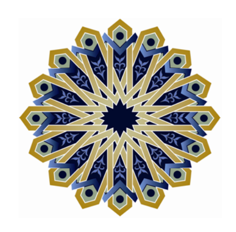
فلا تحدث نفسك بتهويسات البطالين ، واقتد بأولي العزم والنهى من الأنبياء والصالحين ، ولا تطمع في أن تحصد ما لم تزرع ، وليت من صام وصلى وجاهد واتقى غُفر له ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ [المؤمنون:60] .

فهذه جمل مما ينبغي أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة ، وأعمال هذه الجوارح إنما تترشح من صفات القلب ، فإن أردت حفظ الجوارح فعليك بتطهير القلب فهو تقوى الباطن ، والقلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح بها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد [1] ، فاشتغل بإصلاحه لتصلح به جوارحك ، وصلاحه يكون بملازمة المراقبة.

---

(1) راجع الحاشية رقم (1) من هذا الكتاب .

" واعلم أن مثل القلب كمثل حصن ، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ، ولا يمكن حفظ الحصن إلا بحراسة أبوابه ، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه ، فحماية القلب من وساوس الشيطان واجب ، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله ؛ فصارت معرفة مداخله واجبة ، ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد ، وهي كثيرة " [1] .



(1) "مختصر منهاج القاصدين" .

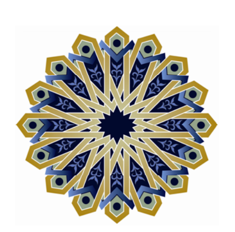
باب
القول في معاصي القلب

اعلم أن الصفات المذمومة في القلب كثيرة ، وطريق تطهير القلب من رذائلها طويلة ، وسبيل العلاج فيها غامض ، وقد اندرس بالكلية علمه وعمله ؛ لغفلة الخلق عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا.

وتجد ذلك مبسوطًا في الكتاب الذي سميناه لك آنفاً [1] ، ولكنا نحذرك ثلاثًا من خبائث القلب هي الغالبة على متفقهة العصر لتأخذ منها حذرك ، فإنها مهلكات في أنفسها ، وهي أمهات لجملة من الخبائث سواها: وهي الحسد ، والرياء ، والعجب.

فاجتهد في تطهير قلبك منها ، فإن قدرت عليها فتعلم كيفية الحذر من بقيتها من ربع المهلكات وربع المنجيات من الكتاب الذي ذكرناه، فإن عجزت عن هذا فأنت عن غيره أعجز.

ولا تظن أنك تسلم بنية صالحة في تعلم العلم وفي قلبك شيء من الحسد والرياء والعجب ، وقد قال ﷺ :" **ثلاث مهلكات: شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه** " [2].



(1) وهو الموسوم بـ "مختصر منهاج القاصدين" للإمام ابن قدامة المقدسي (رحمه الله) .
(2) رواه البزار وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بسند ضعيف . قال الحافظ المنذري رحمه الله: "والحديث مروي عن جماعة من الصحابة ، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها عن مقال ، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى"اهـ . وانظر "الجامع الصغير- مع الفيض" (3471، 3472) ، و"مجمع الزوائد" (1/ 90-91) ، و"الصحيحة" (1802).

الحسد

أما الحسد: فهو متشعب من الشح ؛ فإن البخيل: هو الذي يبخل بما في يده على غيره .

والشحيح: هو الذي يبخل بنعمة الله تعالى، وهي في خزائن قدرتـه تعـالى لا في خزائنه على عباد الله، فشحه أعظم .

والحسود: هو الذي يشق عليه إنعام الله تعالى من خزائن قدرته عـلى عبـد مـن عباده [1] ، بعلم أو مال أو محبة في قلوب الناس أو حظ من الحظوظ ، حتـى أنـه ليحب زوالها عنه وإن لم يحصل له بذلك شيء مـن تلـك النعمـة ، فهـذا منتهـى الخبث، والحسود هو المعذب الذي لا يُرحم ، ولا يزال في عذاب دائم في الدنيا إلى موته ، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر.

بل لا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان ما لم يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه ، بل ينبغي أن يساهم المسلمين في السراء والضراء ، فالمسلمون كالبنيـان الواحـد يشد بعضه بعضًا ، وكالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو اشتكى سائر الجسد ، فإن كنت لا تصادف هذا من قلبك فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات .

قال بعض السلف: " الحسد أول ذنب عُـصِيَ اللهُ بـه في السماء (يعنـي: حـسد إبليس لآدم عليه السلام) ، وأول ذنب عُصِيَ اللهُ به في الأرض (يعني: حسد قابيل ابن آدم لأخيه هابيل حتى قتله) " .

وقال الفقيه السمرقندي (رحمه الله) : " يـصل إلـى الحاسـد خمـس عقوبـات قبل أن يصل حسده إلى المحسود:

أولاها: غـم لا ينقطع .

---

(1) كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ يقـول: " لا تعـادوا نِعَـم الله " قـالوا: ومَـن يعادي نعم الله؟! قال: "**الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** " ، ولله در من قال:

ألا قل لمن ظل لي حاسدًا   أتدري على من أسأت الأدب؟
أسأت على الله في حكمه   إذا أنت لم ترضَ لي ما وهب
فأخزاك ربي بأن زادني   وسّدَّ عليك وجوه الطلب

الثانية: مصيبة لا يؤجر عليها .

الثالثة: مذمة لا يُحمد عليها .

الرابعة: سخط الرب .

الخامسة: يُغلق عنه باب التوفيق " ا.هـ .

قلت: ومن أعظم ذلك أن يُزاد في الفضل والخير للمحسود بسببه ، قال الطائي:

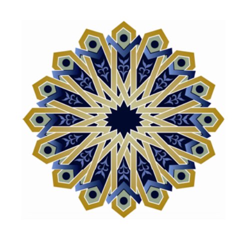
وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طُوِيَتْ أتاح لها لسانَ حسودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورت ... ما كان يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العودِ

لولا التخوف للعواقب لم تزل ... للحاسد النُّعْمى على المحسودِ

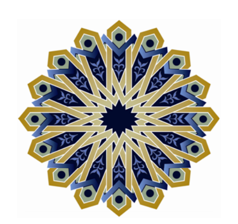
ويعجبني ما أخرجه الإمام ابن حبان في "**الروضة**" عن الإمام العلم المفرد محمد بن سيرين (رحمه الله) أنه قال: " **ما حسدت أحدًا على شيء مِن الدنيا ؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة ؟!**

وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار ؟! " .



الرياء

وأما الرياء: فهو الشرك الخفي وهو أحد الشركين ، وذلك : طلب المنزلة في قلوب الخلق لتنال بها الجاه والحشمة ، وحب الجاه من الهوى المتبع المهلك ، وفيه هلك أكثر الناس ، فما أهلك الناس إلا الناس ، ولو أنصف الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلاً عن أعمال العادات ليس يحملهم عليه إلا مراءاة الناس ، وهي محبطة للأعمال كما ورد في الخبر: " **إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: هو جريء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال: فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن يُنفَق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار** " (1) ، " **فأولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة** " (2)، نسأل الله السلامة .



(1) رواه مسلم (1905) ، وأحمد (8260) ، والنسائي (3137) ، وفي "فضائل القرآن" (108) .

(2) رواه الترمذي (2382) وحسنه ، وصححه ابن خزيمة (2482) ، وابن حبان (408) ، والحاكم (1527) .

العجب والكبر والفخر

وأما العجب والكبر والفخر: فهو الداء العضال ، وهو : نظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام ، وإلى غيره بعين الذل والاحتقار ، ونتيجته على اللسان أن يقول: أنا وأنا [1] ، كما قال إبليس اللعين : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[ص:76] .

وثمرته في المجالس : الترفع ، والتقدم ، وطلب التصدر فيها . وفي المحاورة : الاستنكاف من أن يرد كلامه عليه.

والمتكبر: هو الذي إن وعِظ أنف ، أو وَعَظ عنَّف . فكل من رأى نفسه خيرًا من أحد من خلق الله تعالى فهو متكبر.

بل ينبغي لك أن تعلم أن الخَيَّر من هو خيَّر عند الله في الدار الآخرة ، وذلك غيب ، وهو موقوف على الخاتمة ، فاعتقادك في نفسك أنك خير من غيرك جهل محض ، بل ينبغي ألا تنظر إلى أحد إلا وترى أنه خير منك ، وأن الفضل له على نفسك ، فإن رأيت صغيرًا قلت: هذا لم يعص الله وأنا عصيته فلا شك أنه خير مني .

وإن رأيت كبيرًا قلت : هذا قد عبد الله قبلي فلا شك أنه خير مني .

وإن كان عالمًا قلت: هذا قد أُعطي ما لم أعط ، وبلغ ما لم أبلغ ، وعلم ما جهلت فكيف أكون مثله ؟ .

وإن كان جاهلاً قلت: هذا قد عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم ، فحجة الله عليَّ آكد وما أدري بم يختم لي وبم يختم له؟ لا أدري عسى أن يسلم ويختم له بخير

(1) قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "**الزاد**" : "وليحذر كل الحذر من طغيان: أنا ، ولي ، وعندي . فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها إبليس ، وفرعون ، وقارون . "**أنا خير منه**" لإبليس ، و "**لي ملك مصر**" لفرعون ، و"**إنما أوتيته على علم عندي**" لقارون . وأحسن ما وضعت **(أنا)** في قول العبد: أنا العبد المخطئ ، المستغفر ، المعترف ، ونحو ذلك . و**(لي)** في قوله: لي الذنب ، ولي الجرم ، ولي المسكنة ، ولي الفقر والذل . و**(عندي)** في قوله: اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي " اهـ .

العمل ، وعسى أن يختم لي بشر العمل ؛ فيكون غدًا هو من المقربين ، وأنا أكون من المبعدين .

فلا يخرج الكبر من قلبك إلا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى ، وذلك موقوف على الخاتمة وهي مشكوك فيها ، فيشغلك خوف الخاتمة عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى ، فيقينك وإيمانك في الحال لا يناقض تجويزك التغير في الاستقبال ؛ فإن الله مقلب القلوب يهدي من يشاء ويضل من يشاء [1] .

فتأمل أيها الراغب في العلم هذه الخصال الثلاث : الحسد ، الرياء ، الكبر . واعلم أن أعظم الأسباب في رسوخ هذه الخبائث في القلب: طلب العلم لأجل المباهاة والمنافسة ، فالعامي بمعزل عن أكثر هذه الخصال ، والمتفقه مستهدف لها وهو متعرض للهلاك بسببها ، فانظر أي أمورك أهم ؟! أتتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات وتشتغل بإصلاح قلبك وعمارة آخرتك ؟ أم الأهم أن تخوض مع الخائضين فتطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين ؟!

واعلم أن هذه الخصال الثلاث من أمهات خبائث القلوب ، ولها مغرس واحد وهو : حب الدنيا والركون إليها ، فاعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة ، فمن أخذ من الدنيا بقدر الضرورة ليستعين بها على الآخرة ؛ فالدنيا مزرعته ، ومن أراد الدنيا ليتنعم بها ؛ فالدنيا مهلكته .

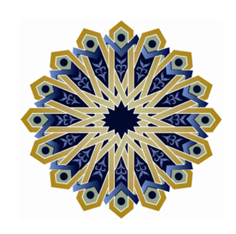
فهذه نبذة يسيرة من ظاهر علم التقوى وهي بداية الهداية . فإن جربت بها نفسك وطاوعتك عليها فعليك بالاستزادة من العلم النافع ، لتعرف كيفية الوصول إلى باطن التقوى .

---

(1) ولمزيد من الفائدة حول خطر الكبر وطريق الخلاص منه: انظر وصية نبي الله نوح ﷺ لابنه ، وكذا وصية سعد بن أبي وقاص ﷺ لابنه ، ووصية زيد بن أسلم (رحمه الله) لابنه في كتابي"وصايا الآباء للأبناء" .

وإن كنت تطلب العلم من القيل والقال والمراء والجدال ؛ فما أعظم مصيبتك ! وما أطول تعبك ! وما أعظم حرمانك وخسرانك !! . فاعمل ما شئت فإن الدنيا التي تطلبها بالدين لا تسلم لك ، والآخرة تُسلب منك ، فمن طلب الدنيا بالدين خسرهما جميعًا ، ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعًا.

فهذه جمل الهداية إلى بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالى بأداء أوامره واجتناب نواهيه ، وأشير عليك الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ نفسك بها في مخالطتك مع عباد الله تعالى ، وصحبتك معهم في الدنيا.



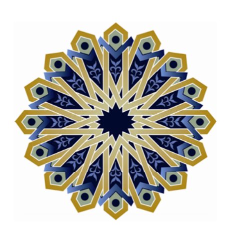

القسم الثالث
القول في
آداب الصحبة

آداب الصحبة مع الله تعالى

اعلم أن صاحبك الذي لا يفارقك في حضرك وسفرك ونومك ويقظتك ، بل في حياتك وموتك ، هو ربك وسيدك ومولاك وخالقك ، ومهما ذكرته فهو معك ، إذ قال الله تعالى: **"أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه"**[1] ، ومهما انكسر قلبك حزنًا على تقصيرك في حق دينك فهو موفقك ومعينك ، فلو عرفته حق معرفته لاتخذته صاحبًا وتركت الناس جانبًا ، فإن لم تقدر على ذلك في جميع أوقاتك فإياك أن تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه لمولاك ، وتتلذذ معه بمناجاتك له ، وعند ذلك ينبغي لك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى.

وآدابها : غض الطرف ، وجمع الهم ، ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة الأمر ، واجتناب النهي ، وقلة الاعتراض على القدر ، ودوام الذكر ، وملازمة الفكر ، وإيثار الحق على الباطل ، والإياس عن الخلق ، والخضوع تحت الهيبة ، والانكسار تحت الحياء ، والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان ، والتوكل على فضل الله تعالى معرفة بحسن الاختيار.

وهذا كله ينبغي أن يكون شعارك في جميع ليلك ونهارك ، فإنها آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك ، والخلق كلهم يفارقونك في بعض أوقاتك.

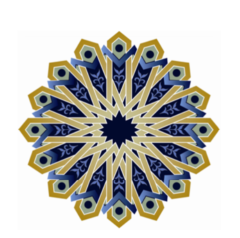


(1) رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم في [**كتاب التوحيد–باب قول الله تعالى: "لا تحرك به لسانك"**] ، ووصله الإمام أحمد (2/ 540) ، وابن ماجة (3792) ، وصححه ابن حبان (815) .

آداب العالِم

وإن كنت عالمًا فآداب العالم: سعة الاحتمال، ولزوم الحلم، والجلوس بالهيبة على سمت الوقار، مع ترك التكبر على جميع العباد إلا على الظلمة زجرًا لهم عن الظلم ، وإيثار التواضع في المحافل والمجالس ، وترك الهزل والدعابة ، والرفق بالمتعلم ، والتأني بالمتعجرف ، وإصلاح البليد بحسن الإرشاد ، وترك الحَرَد[1] عليه ، وترك الأنفة من قول: لا أدري ، وصرف الهمة إلى السائل وتفهم سؤاله ، وقبول الحجة والانقياد للحق ، والرجوع إليه عند الهفوة ، ومنع المتعلم عن كل علم يضره ، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى ، وصد المتعلم عن أن يشتغل

بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين ـ وفرض عينه: إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ـ ، ومؤاخذه نفسه أولاً بالتقوى ؛ ليقتدي المتعلم أولاً بأعماله ، ويستفيد ثانيًا من أقواله.



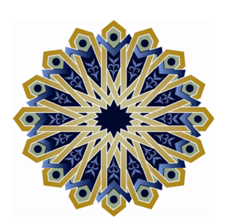
(1) **الحرد: الغضب . يقال:** حَرَدَ يَحْرِدُ حُرُوداً . وهو حَرِدٌ ، وحارِدٌ ، وحَرْدَانُ .

آداب المتعلــم

وإن كنت متعلمًا فآداب المتعلم مع العالم: أن يبـدأه بالتحيـة والـسلام ، وأن يقلل بين يديه الكلام ، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه ، ولا يسأل ما لم يستأذن أولاً، ولا يقول في معارضة قوله: قال فلان بخلاف ما قلت، ولا يـشير عليـه بخـلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه، ولا يسأل جليسه في مجلسه ، ولا يلتفت إلى الجوانب ، بل يجلس مطرقًا ساكنًا متأدبًا ، ولا يكثر عليه السؤال عنـد مللـه ، وإذا قام قام له ، ولا يتبعه بكلامه وسؤاله ، ولا يسيء الظن به . واعلم أن المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب الزلات ، وكان بعض الـسلف يتـصدق وهـو في طرقه لمجلس العلم ويدعو قائلاً: " **اللهم وار عني عيب شيخي** ".

ورُوي عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : " **من حق العالم عليك أن تُسلم عـلى النَّاس عامة، وتخصّه دونهم بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تُشيرن عنده بيدك، ولا تغمزنَّ بعينيك، ولا تقولنَّ : قال فلان خلافًا لقوله، ولا تغتابنَّ عنـده أحـد، ولا تسارر في مجلسه، ولا تأخذن بثوبه، ولا تُلح عليه إذا كـسل، ولا تُعـرض ــ أي: تشبع ــ من طول صُحبته ، ولا ترفع نفسك عن خدمته، وإذا عرضت لـه حاجـة سبقت القوم إليها، فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شئ** " .

وعلى طالب العلم أن يتحلى بالوفاء ؛ فإنه من أجل خصال النبلاء ، وليعلم أن " **حسن العهد من الإيمان** " [1] ، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل .

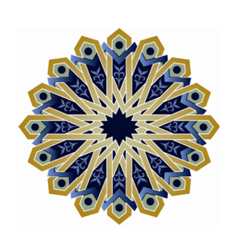


(1) حديث حسن: أخرجه الحاكم (رحمه الله) في "**المستدرك**" (1/ 15-16) بسند حسن من حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ! ، ووافقـه الذهبي ، ورمز له السيوطي بالصحة في "**الجامع الـصغير**" (2264) ، وانظـر "**الـصحيحة**" للألباني (216) .

آداب الولد مع الوالدين

وإن كان لك والدان فآداب الولد مع الوالدين: أن يسمع كلامهما، ويقوم لقيامهما، ويمتثل لأمرهما، ولا يمشي أمامهما، ولا يرفع صوته فوق أصواتهما، ويلبي دعوتهما، ويحرص على مرضاتهما، ويخفض لهما جناح الذل، ولا يمن عليهما بالبر لهما، ولا بالقيام لأمرهما، ولا ينظر إليهما شزرًا[1]، ولا يقطب وجهه في وجههما، ولا يسافر إلا بإذنهما.

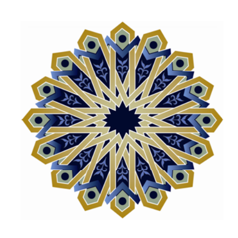
واعلم أن الناس بعد هؤلاء في حقك ثلاثة أصناف: إما أصدقاء، وإما معاريف، وإما مجاهيل.



(1) **النظر الشزر**: هو نظر الغضبان بمؤخر العين.

آداب العلاقة بالعوام المجهولين

فإن بليت بالعوام المجهولين فآداب مجالستهم: ترك الخوض في حديثهم ، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم ، والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم ، والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة إليهم ، والتنبيه على منكراتهم باللطف ، والنصح عند رجال القبول منهم ، واستعذ بالله دائماً من صحبة البطالين .



آداب العلاقة بالإخوان والأصدقاء

وأما الإخوان والأصدقاء فعليك فيهم وظيفتان:

الوظيفة الأولى: مراعاة شروط الصحبة

فينبغي أن تطلب أولاً شروط الصحبة والصداقة ، فلا تؤاخ إلا من يصلح للإخوة والصداقة ، وقد قال رسول الله ﷺ : **" الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل "** [1] .

فإذا طلبت رفيقًا ليكون شريكك في التعلم ، وصاحبك في أمر دينك ودنياك ، فراعِ فيه ستَ خصال [2] :

الأولى: العقل :

فلا خير في صحبة الأحمق ، فإلى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها ، وأحسن أحواله أن يضرك

وهو يريد أن ينفعك ، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق ، قال علي بن أبي طالب ﷺ :

فَلا تَصحَب أَخا الجَهلِ ... وَإِيّاكَ وَإِيّاهُ

فَكَم مِن جاهِلٍ أَردى ... حَليماً حِينَ آخاهُ

يُقاسُ المَرءُ بِالمَرءِ ... إذا ما المَرءُ ماشاهُ

كَحَذو النعلِ بِالنَعلِ ... إذا ما النعل حاذاهُ

وَلِلشَيءِ مِنَ الشَيءِ ... مَقايِيسُ وَأَشباهُ

وَلِلقَلبِ عَلى القَلبِ ... دَليلٌ حِينَ يَلقاهُ

---

(1) رواه الإمام أحمد (8015، 8398) ، وأبو داود (4833) ، والترمذي (2378) وحسنه ، وتبعه السيوطي رحمه الله فرمز لحسنه في **"الجامع الصغير"** (4516) ، وتعقبه شارحه بقوله : "هو أعلى من ذلك ؛ فقد قال النووي في **"رياضه"** (373): إسناده صحيح"! وفيه نظر ، فإن في الإسناد ضعفًا . لكن للحديث طريق أخرى حسنه بها الألباني في **"الصحيحة"** (927) .

(2) ذكر الإمام الغزالي (**رحمه الله**) خمسًا ، وزدت أنا **"الوفاء"** ، وقد ندر في زماننا جدًا ، حتى أصبح أعز من عنقاء مُغرب ، فقد مُحي هذا المصطلح من معجم كثير من الناس ، إلا مَن رحم ربك ، وقليل ما هم ، والله المستعان .

الثانية: حسن الخلق

فلا تصحب من ساء خلقه ، وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة ، وقد جمعه علقمة العطاردي رحمه الله تعالى في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة ، فقال: **" يا بني! إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك ، وإن صحبته زانك ، وإن قعدت بك مؤنة مانك .**

اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن رأى منك سيئة سدها " .

وقال علي رضي الله عنه :

إِن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

الثالثة: الصلاح

فلا تصحب فاسقًا مصرًا على معصية كبيرة ؛ لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ، ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله ، بل يتغير بتغير الأحوال والأعراض ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:28].

فاحذر صحبة الفاسق؛ فإن مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية المعصية، وتهون عليك أمرها ، ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لإلفهم لها ، ولو رأوا خاتمًا من ذهب أو ملبوسًا من حرير على فقيه لاشتد إنكارهم عليه! والغيبة أشد من ذلك.

الرابعة: ألا يكون حريصًا على الدنيا

فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل ؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء ، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري ، فمجالسه الحريص تزيد في حرصك ، ومجالسه الزاهد تزيد في زهدك.

الخامسة: الوفاء ، فلا خير في صحبة اللئيم ، وقد أجمع الحصفاء الألباء من بني آدم على أن الإحسان إلى اللئيم إساءة ، حتى قال سفيان الثوري (**رحمه الله**) : **"وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام" أخرجه أبو نعيم في "الحلية"** (6/ 367/ 9277) .

وعلى قدر إحسان المرء إلى اللئيم تكون إساءة اللئيم إليه .

كما قال معن بن أوس متوجعًا من لئيم :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني !

أعلمه الفتوة كل وقت فلما طر شاربه جفـاني !!

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني !!!

ولله در أبي الطيب المتنبي إذ يقول:

إذا أنت أكرمـت الكـريم ملكتـه وإن أنت أكرمت اللئيـم تـمـردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعُلا مُضِرٌّ كوضع السيف في موضع النَّدَى

وفـي بعـض الـشعر التركـي أو الفرنـسي الـذي تـرجمـه أميـر الـشعراء أحمـد شوقي:

إن كنتَ ذا فضل فكُـ ـنْهُ على ذكيٍّ أو كريـم

فالفضلُ يَنْسَاهُ الغَـ ـبيُّ وليس يحفظه اللئيم

السادسة : الصدق

فلا تصحب كذابًا فإنك منه على غرور ، فإنه مثل السراب يقرب منك البعيـد ويبعد منك القريب.

ولعلك تعدم اجتماع هذه الخصال في سكان المدارس والمساجد ، فعليك بأحد أمرين: إما العزلة والانفراد ففيها سلامتك ، وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم .

وذلك بأن تعلم أن الإخوةَ ثلاثة:

1 - أخ لآخرتك: فلا تراع فيه إلا الدين.

2 - وأخ لدنياك: فلا تراع فيه إلا الخلق الحسن.

3 — وأخ لتأنس به : فلا تراع فيه إلا السلامة من شره وفتنته وخبثه .

والناسَ ثلاثة:

أحدهم: مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه.

والآخر: مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت.

والثالث: مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ، ولكن العبد قـد يُبـتلى بـه ، وهـو الذي لا أنس فيه ولا نفع ، فتجب مداراته إلى الخلاص منه ، وفي مشاهدته فائدة

عظيمة إن وفقت لها ، وهو: أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ما تستقبحه فتجتنبه ، فالسعيد من وُعظ بغيره ، و" **المؤمن مرآة أخيه ، والمؤمن أخو المؤمن ، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه** "[1] كما قال النبي ﷺ .

ويُروى أن نبي الله عيسى -على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قيل له: مَن أدبك؟ فقال: " **ما أدبني أحد ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته** " ، ولقد صدق على نبينا وعليه الصلاة والسلام . فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم ؛ لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين.

واعلم أنك إن طلبت منزهًا من كل عيب لم تجد ، ومَن غلبت محاسنه على مساويه فهو الغاية ،

ويعجبني ما ورد في كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني (3/237) عن الشاعر بَشَّار بن برد ، قال:

إذا كنت في الأمور معاتبًا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبُهْ
فعش واحدًا أو صِلْ أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبُهْ
إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربُهْ ؟

الوظيفة الثانية : مراعاة حقوق الصحبة

فمهما انعقدت الشركة وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة ، فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة ، وفي القيام بها آداب . وقد قال سلمان الفارسي ﷺ: "**مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى** "[2] .

---

(1) أخرجه البخاري في "**الأدب المفرد**" (239) ، وأبو داود (4918) وحسن إسناده الزين العراقي رحمه الله كما في "**فيض القدير**" (6/ 333) ، وحسنه أيضًا تلميذه الحافظ ابن حجر رحمه الله في "**بلوغ المرام**" (1432) .

(2) أورده الإمام الغزالي رحمه الله في الأصل وكذا في "**الإحياء**" جازمًا بنسبته إلى النبي ﷺ ! وقال الحافظ العراقي رحمه الله: "رواه السلمي في "**آداب الصحبة**" ، وأبو منصور الديلمي في "**مسند الفردوس**" من حديث أنس . وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب . وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من "**الحزبيات**" ا.هـ قلت: (**وائل**): وقد روى ابن المبارك في "**الزهد**" (874) بسند صحيح عن سليمان وهو ابن مهران الأعمش رحمه الله قال: " **مثل الذي يشكو إلى أخيه كمثل الذي يغسل إحدى يديه بالأخرى**" .

وقال ﷺ : " **ما تحاب اثنان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه** " [1] .

وآداب الصحبة :

الإيثار بالمال ، فإن لم يكن هذا ، فبذل الفضل من المال عند الحاجة . والإعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير إحواج إلى التماس . وكتمان السر . وستر العيوب .

والسكوت على تبليغ ما يسوؤه من مذمة الناس إياه . وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه .

وحسن الإصغاء عند الحديث ، وترك المماراة فيه . وأن يدعوه بأحب أسمائه إليه . وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه إن لم يخش مفسدة . وأن يشكره على صنيعه في وجهه .

وأن يذب عنه في غيبته إذا تُعرِّض لعرضه كما يذب عن نفسه .

وأن ينصحه باللطف والتعريض إذا احتاج إليه . وأن يعفو عن زلته وهفوته ولا يعتب عليه .

وأن يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته . وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته .

وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئًا من حاجاته . ويروح قلبه من مهماته .

---

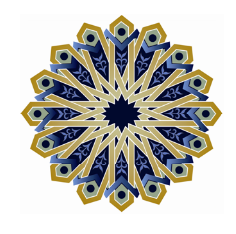
(1) رواه أبو يعلى (6/ 3419) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وقال المنذري وتبعه الهيثمي (10/ 276): "**رواته رواة الصحيح إلا مبارك بن فضالة**" وهو صدوق يدلس وقد صرح بالتحديث كما عند البخاري في "**الأدب المفرد**" (544) ؛ فالإسناد حسن ، وصححه ابن حبان (566) واللفظ المزبور له ، والحاكم (7323) . وله شاهد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عزاه المنذري للطبراني وقال: "**إسناده جيد قوي**" . تنبيه: قال الشيخ الألباني رحمه الله وطيب ثراه في "الصحيحة" (450) بعد تخريجه للحديث وعزوه إياه لابن حبان وغيره : "**تنبيه**": جميع روايات الحديث بلفظ (**رجلان**) . وأما الغزالي فذكره في "**الإحياء**" (2/ 139) بلفظ (**اثنان**) . ولم أجده في شيء من هذه الروايات "اهـ . وأقول : اللفظ الذي ذكره الإمام الغزالي -رحمه الله- هو لفظ ابن حبان (566-إحسان) ، وبهذا اللفظ أورده الحافظ السيوطي في "**الجامع الصغير**" (7867) وعزاه للبخاري في "**الأدب المفرد**" ، وابن حبان ، والحاكم . ورمز لصحته . والله الموفق .

وأن يظهر الفرح بجميع ما يرتاح له من مسارِّه . والحزن على ما يناله من مكارهه .

وأن يضمر في قلبه مثل ما يظهره فيكون صادقًا في وده سرًا وعلانية . وأن يبدأه بالسلام عند إقباله . وأن يوسع له في المجلس . وأن يخرج له من مكانه . وأن يشيعه عند قيامه . وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه . ويترك المداخلة في كلامه .

وعلى الجملة فيعامله بما يحب أن يُعامَل به ، فمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه فأخوته نفاق ، وهي عليه وبال في الدنيا والآخرة ، واعلم أخيراً أن صديقك هو من صدقك لا من صدَّقك .

فهذا أدبك في حق العوام المجهولين وفي حق الأصدقاء المؤاخين.



آداب العلاقة بالمعارف

وأما القسم الثالث وهم المعارف: فاحذر منهم فإنك لا تري الشر إلا ممن تعرفه أما الصديق فيعينك ، وأما المجهول فلا يتعرض لك ، وإنما الشر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم.

فأقلل من المعارف ما قدرت ، فإذا بليت بهم في مدرسة أو مسجد أو جامع أو سوق أو بلد فيجب ألا تستصغر منهم أحدًا ، فإنك لا تدري لعله خير منك ، ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك ؛ لأن الدنيا صغيرة عند الله تعالى صغير ما فيها ، ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى ، وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال به من دنياهم ، فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم ثم حُرِمَ ما عندهم.

وإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة ؛ فإنك لا تطيق الصبر على مكافأتهم فيذهب دينك في عداوتهم ، ويطول عناؤك معهم ، ولا تسكن إليهم في حال إكرامهم إياك وثنائهم عليك في وجهك

وإظهارهم المودة لك ، فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة واحداً ، ولا تطمع أن يكونوا لك في السر والعلن واحدًا . ولا تتعجب إن ثلبوك في غيبتك ، ولا تغضب منه ؛ فإنك إن أنصفت وجدت من نفسك مثل ذلك حتى في أصدقائك وأقاربك ، بل في أستاذك ووالديك . فإنك تذكرهم في الغيبة بما لا تشافههم به . فاقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم ؛ فإن الطامع في الأكثر خائب في المال ، وهو ذليل لا محالة في الحال.

وإذا سألت واحدًا حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى واشكره ، وإن قصر فلا تعاتبه ولا تشكه فتصير عدواة له ، وكن كالمؤمن يطلب المعاذير ، ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب . وقل: لعله قصر لعذر له لم أطلع عليه .

ولا تعظن أحدًا منهم ما لم تتوسم فيه أولاً مخايل القبول ، وإلا لم يستمع منك وصار خصمًا عليك ، وإذا أخطئوا في مسألة وكانوا يأنفون من التعلم منك

فلا تعلمهم ، فإنهم يستفيدون منك علمًا ويصبحون لك أعداء ، إلا إذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل منهم ، فاذكر الحق بلطف من غير عنف.

وإذا رأيت منهم كرامة وخيرًا فاشكر الله الذي حببك إليهم . وإذا رأيت منهم شرًا فكلهم إلى الله تعالى واستعذ بالله من شرهم ، ولا تعاتبهم ، ولا تقل لهم: لِمَ لَمْ تعرفوا حقي وأنا فلان بن فلان وأنا الفاضل في العلوم ؟! فإن ذلك من كلام الحمقى ، وأشد الناس حماقة من يزكي نفسه ويثني عليها.

واعلم أن الله تعالى لا يسلطهم عليك إلا بذنب سبق منك ، فاستغفر الله من ذنبك ، واعلم أن ذلك عقوبة من الله تعالى.

وكن فيما بينهم سميعًا لحقهم ، أصم عن باطلهم ، نطوقًا بمحاسنهم ، صموتًا عن مساويهم ، واحذر مخالطة متفقهة الزمان ، لا سيما المشتغلين بالخلاف والجدال.

واحذر منهم ؛ فإنهم يتربصون بك ـ لحسدهم ـ ريب المنون ، ويقطعون عليك بالظنون ، ويتغامزون وراءك بالعيون ، ويحصون عليك عثراتك في عشرتهم حتى يجبهوك بها في حال غيظهم ومناظرتهم ، لا يقيلون لك عثرة ، ولا يغفرون لك زلة ، ولا يسترون لك عورة . يحاسبونك على النقير والقطمير ، ويحسدونك على القليل والكثير ، ويحرضون عليك الإخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان . إن رضوا فظاهرهم الملق ، وإن سخطوا فباطنهم الحنق ، ظاهرهم ثياب ، وباطنهم ذئاب .

هذا ما قطعت به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى . فصحبتهم خسران ، ومعاشرتهم خذلان .

هذا حكم من يظهر لك الصداقة ، فكيف من يجاهرك بالعداوة ؟!.

قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى:

فاحذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة

وكذلك قال أبو تمام:

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب

فإن الداء أَكثر ما تـــــراه يكون من الطعام أو الشراب

وكن كما قال هلال بن العلاء الرقى:

إني أحيي عـدوي عند رؤيتـــه لأَدفـع الشـر عنى بالتحيـــات

وأظهر البشر للإنسـان أبغضــه كأن قـد مـلا قلبـي مـحبـــات

ولست أسـلم ممن لست أعرفــه فكيف أسـلم من أهل المـــودات

الناس داء دواء النـاس تركهـــم وفي الجفـاء لهم قطع الأَخـــوات

فسالم الناس تسـلم من غوائلهـــم وكن حريصاً على كسب التقيات

وخالق الناس واصبر ما بليت بهم أصم أبكـم أعمـى ذا تقيـــات

وكن أيضا كما قال بعض الحكماء: " الق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة لهما ، ولا هيبة منهما . وتوقر من غير كبر . وتواضع من غـير مذلـة . وكن في جميع أمورك في أوسطها ، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم " .

كما قيل:

عليك بأَوسـاط الأَمور فإنها طريـق إلى نهج الصراط قويـم

ولا تك فيها مفرطًا أو مفرطًا فإن كلا طرفي الأمـور ذميـم

واعلم أن العاقل هو الفطن المتغافل ، كذا قال الإمام الشافعي (رحمه الله) ، ولله در من قال:

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

ولقد صدق الأصمعي حين قال:

وما شيء أحب إلى لئيم إذا شتم الكريم من الجواب

متاركة اللئيم بلا جواب أشد على اللئيم من السباب

وكان الإمام سليمان بن مهران الأعمش يقول:

" جواب الأحمق السكوت . والتغافل يطفيء شرًّا كثيرًا . ورضا المتجني غايـة لا تدرك . والاستعطاف عون للظفر . ومَن غضب على مـن لا يقـدر عليـه طـال حزنه " .

ومِن أجمل ما قرأت:

لــن يبلــغ المجدَ أقــوام وإن شــرفوا حتــى يَذِلــوا وإن عــزوا لأقــوام

ويشتمــــوا فتــرى الألوان مسفـــرة لا صفح ذل ولكن صفــح إكرام

وأنشد الإمام الشافعي (رحمه الله) :

قالوا سكتَّ وقد خوصمت قلت لهم : إن الجـواب لباب الشـر مفتــاح

فالعفـو عــن جاهـــل أو أحمـق أدب نعم وفيه لصون العرض إصلاح

إن الأسود لتُخشى وهــي صـامتـــة والكلـب يخثى ويرمى وهو نبـاح

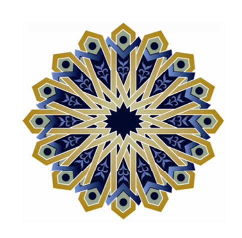
ولا تنسَ وصية ربـك (تبـارك وتعـالى) : ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فُصِّلَت:34].

وما أجمل قول بعض الشعراء الذي ذكره ابن قتيبة (رحمه الله) في **"عيون الأخبار"**:

إنَّ الهــديةَ حُـلْـــــوةٌ كالسِّحر تَجْتَلِبُ القلوبا

تُدْنِي البغيضَ من الهوى حتــى تُصَيِّرَهُ قريبـــا

وتُعِيـدُ مُضطغِنَ العَـدَا وَةِ بعـد نُفْرَتِهِ حبيبـــا



آداب عامة جامعة

ولا تنظر في عطفيك ، ولا تكثر إلى وراءك الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، واحذر كثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس في الصلاة وغيرها . وليكن مجلسك هادئًا ، وحديثك منظومًا مرتبًا . وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط . ولا تسأله إعادته . واسكت عن المضاحك والحكايات. ولا تحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر ما يخصك . ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين . ولا تتبذل تبذل العبد . وتوق كثرة الكحل والإسراف في الدهن . ولا تلح في الحاجات . ولا تشجع أحداً على الظلم. ولا تُعلم أحدًا من أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك . واجفهم من غير عنف . ولِن لهم من غير ضعف . وإذا خاصمت فتوقر . وتحفظ من جهلك وعجلتك . وتفكر في حُجتك . ولا تكثر الإشارة بيدك . وإذا هدأ غضبك فتكلم. وإذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان . وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء ، ولا يجعل مالك أكرم من عرضك . واعلم أن من استوى يوماه فهو مغبون .

وأخيرًا أتحفك بهذه الوصية الغالية ، فعض عليها بالنواجذ . وقد رواها الإمام أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه **"الزهد الكبير"** من طريق طاهر بن الفضل بن سعيد الغني قال: سمعت سفيان ابن عيينة رحمه الله يقول: لما بلغت خمس عشرة سنة قال لي أبي:

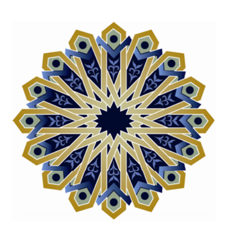
"يا بني! قد انقطعت عنك شرائع الصبا . فاختلط بالخير تكن من أهله . ولا تزايله فتبين منه . ولا يغرنك من مدحك بما تعلم أنت خلافه منك ؛ فإنه ما من أحد يقول في أحد من الخير ما لم يعلم منه إذا رضي، إلا قال فيه من الشر على قدر ما مدحه إذا سخط .

واستأنس بالوحدة من جلساء السوء . ولا تنقل أحسن ظني بك إلى أسوأ ظني بمن هو دونك .

واعلم أنه لن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم .

فأطعهم تسعد ، واخدمهم تقتبس من علمهم " .

قال سفيان: فجعلت وصية أبي هذه قبلة أميل إليها ولا أميل عنها ولا أعدل عنها [1] .



(1) وهذه الوصية رواها أيضًا الحافظ ابن أبي الدنيا (رحمه الله) في كتاب **"العيال"** (357) وغيره . وقد خرجتها في كتابي **"وصايا الآباء للأبناء"** .

الخاتمة
نسأل الله حسنها

فهذا القدر يكفيك من بداية الهداية ، فجرب بها نفسك ، فإنها ثلاثة أقسام:

1 - قسم في آداب الطاعات.

2 - وقسم في ترك المعاصي.

3 - وقسم في مخالطة الخلق.

وهي جامعة لجمل معاملة العبد مع الخالق والخلق ، فإن رأيتها مناسبة لنفسك ورأيت قلبك مائلاً إليها راغبًا في العمل بها ، فاعلم أنك عبد نوَّر الله تعالى بالإيمان قلبه ، وشرح به صدره ، وتحقق أن لهذه البداية نهاية ، ووراءها أسرارًا .

وإن رأيت نفسك تستثقل العمل بهذه الوظائف وتنكر هذا الفن من العلم وتقول لك نفسك: أنى ينفعك هذا العلم في محافل العلماء ؟ ومتى يقدمك هذا على الأقران والنظراء ؟ وكيف يرفع منصبك في مجالس الأمراء والوزراء ؟ وكيف يوصلك إلى الصلة والأرزاق وولاية الأوقاف والقضاء ؟! ؛ فاعلم أن الشيطان قد أغواك ، وأنساك متقلبك ومثواك ، فابك على نفسك ، واسع في علاجها.

ثم اعلم أنه قط لا يصفو لك الملك في محلتك ، فضلاً عن قريتك وبلدتك ، ثم يفوتك الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار رب العالمين.

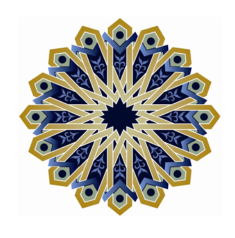
وأختم هذا الكتاب بما رواه الإمام أبو نعيم **(رحمه الله)** في **"حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"** [(ج1/ ص49) رقم (135) ط/ مكتبة الإيمان] ، والحافظ ابن أبي الدنيا **(رحمه الله)** في كتاب **"محاسبة النفس"** (2) بسند حسن عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب (ﷺ): **"حاسبوا أنفسكم قبل**

أن تُحَاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا ؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعـرض الأكـبر : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:18] ".

تمت

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتطيب الأوقات ،،،

وخطه بيمينه
أبو عبد الرحمن البحيري
وائل بن حافظ بن خلف
غفر الله له ولوالديه
وأحسن إليهما وإليه



الفهرست

